بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القـــــــــــرى

كلية التربية بمكه المكرمـه

الدراســات العليـا

نموذج رقم (٨) ‎+××

اجـازة أطـروحة علميـة فى صيغتـهـا النـهـائيـــة

بـعد اجــراء التـعديلات المطلـوبـــة

الاســم رباعـــى : عويض بن غلاب بن معيوض الســواط — القســم التربيه الاسلاميه والمقارنة

الدرجة العلمية : ماجســتير فى التربية الاســلاميـــة — التخصص : تربية اسـلاميـــة

عـــنوان الاطـروحـــة : الفـكر التربـوى عنـــد الراغـــب الاصفهانــــى .

الحمـد للـه رب العالميـن والصلاة والسلام على أشـرف المرسليـن وعلىآله وصحبه أجمعين وبعـــد ،،

فبناء على توصيـــة اللجنـــه المكونـــه لمناقشـة الاطروحـة المذكورة عاليه والتى تمتمناقشتها بتاريخ ١٤٠٩/١١/٢٩ هـ بقـبـول الاطروحة بـعد اجراء التـعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عملاللازم .

فان اللجنة توصى باجازة الاطروحة فى صيغتـهـا النـهـائية المرفقة كمتطلب تكميلى للدرجة العلمية المـــذكـور أعــلاه واللـــه الموفـــق .

أعضاء اللجنـــة

المشرف	مناقش من القسم	مناقش من خارج القسم
الاسم : د. ماجد عرسان الكيلانــى	د. عبدالرحمن عبدالله الشميرى	ضيف الله يحى الزهرانى
التوقيـــع :		

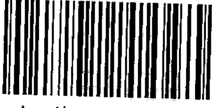
رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنـــة

د. نجم الدين عبدالغفور الانديجانــى

١٤١٠/٢/٢٠

** يوضـع هـــذا النـمـوذج أمـام الصفحـة المقابلـة لصفحـة عـنوان الاطـروحـة فى كل نسخـة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية التربية



الفكر التربوي عند الراغب الأصفهاني من خلال كتبه المطبوعة



إعداد
الطالب / عويض غلاب معيوض السواط

إشراف
الدكتور / ماجد عرسان الكيلاني

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنه

عام ١٤٠٩ هـ



الفكر التربوي
عند الراغب الأصفهاني

من خلال كتبه المطبوعة

إعداد

عويض غلاب معيوض السواط

مقدمة الى قسم التربية - في كلية التربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في تخصص (التربية الاسلامية والمقارنة)

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

* ملخص الرسالة *

* عنوان الرسالة : (الفكر التربوى عند الراغب الأصفهانى)
* اسم الباحث : عويض غلاب معيوض السواط

يعتبر الأصفهانى من المربين الذين أسهموا فى الحركة الثقافية وصياغة العلوم طبقا للمبادىء الاسلامية ، فهو يكشف عن عقل حكيم مسلم مزج بين العقل والنقل عن دقة فهم واحاطة واسترشد بالآيات القرآنية للاستدلال على مفاهيم متعددة تناولت الغرض من وجود الانسان على هذه الأرض وتلقيه المعرفة وتزويده بالأخلاق الفاضلة ، كما نظر الى المجتمع نظرة أخلاقية تسودها المحبة والصداقة والعدالة والتعاون ولقد بين الوسيلة الى كسب العلم واسس تفاضل العلوم وواجبات كل من المعلم والمتعلم وأهداف التربية ووسائلها .

واستهدفت هذه الدراسة الكشف عن دور الأصفهانى ولقد ركزت هذه الدراسة على توضيح أمور عده يأتى فى مقدمتها :

١ ـ أهم الأفكار التربوية عند الأصفهانى
٢ ـ أهداف التربية وأساليبها عند الراغب الأصفهانى
٣ ـ الاسهام فى بلورة القواعد التربوية التى تساعدنا فى بلورة الأسس التربوية لمهنة التعلم ولقد استعان الباحث بالمنهج العلمى القائم على جمع المادة العلمية من مصادرها ثم تحليل النصوص وتفسيرها وعرض النتائج التى تؤدى اليها هذه التفسيرات ثم محاولة ابراز الفكر التربوى من خلال اسهاماته فى التربية فى الكتب المطبوعة وقد ركزت الدراسة على كتابي الراغب الأصفهانى الذريعة الى مكارم الشريعة وتفصيل النشأتين لوضوح الفكر التربوى فيهما .

هذا وقد تضمنت الدراسة الفصول التالية :

١ ـ الفصل الاول: عصر الراغب الأصفهاني ٢ـ الفصل الثانى: سيرة الراغب الأصفهاني
٣ـ الفصل الثالث: مفهوم التربية عند الراغب الأصفهانى
٤ـ الفصل الرابع : الانسان عند الراغب الأصفهانى
٥ـ الفصل الخامس : المعرفة عند الراغب الأصفهانى
٦ـ الفصل السادس : نظرة الراغب الأصفهانى الى الأخلاق
٧ـ الفصل السابع : نظرة الراغب الأصفهانى الى المجتمع
٨ـ الفصل الثامن : مفهوم العلم عند الأصفهانى
٩ـ الفصل التاسع : واجبات المتعلمين والمعلمين عند الراغب الأصفهانى
١٠ـ الفصل العاشر : الاسهامات التربوية للراغب الأصفهانى ...

وأخيرا ختمت هذه الدراسة بعدد من النتائج من أهمها :

١ ـ ان البيئة التى يعيش فيها المفكر لها أثر على فكره التربوى .
٢ ـ ان نظرة الأصفهانى التربوية تتفق مع مفكرى الاسلام الذين صاغوا العلوم طبقا للقيم الاسلامية .

توقيع الباحث	توقيع المشرف على الرسالة	يعتمد عميد كلية التربية بمكة
عويض غلاب معيوض السواط	د / ماجد عرسان الكيلانى	د / هاشم بكر حريرى

* الاهـــــــــداء *

* الـى والدي اللـذيــن ربيـانـي صغيــرا .

* والــى كل مــن علـمنــى .

** الــى رواد التربية والتعليــم .

*** الــى كل من لــه حــق على البـاحث .

** أهــدي هذا الجهد المتـواضع ، وجزاهم اللـه خيرا لقـاء ماعملـــــوا وأحسنـــوا .

كما أسأل الله الكريم أن يجعلـه خالصا لـوجهه الكريم والحمـــد للـه رب العـالـمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد الأميـــــن وعلـى آلــه وصحبــه وسلـــم.

البـــــــاحث

* شكــــر وتقديــــــر *

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آلــــــــه وصحبــــه أجمعيــــن :

وبعد ، فانه ليسعدنى أن أقدم شكرى وتقديرى لسعـــادة الدكتـــــور/ ماجد عرسان الكيلانى ، الذى قبل برحابة صدر أن يكون مشرفا علــــى هـــذه الرسالة حتى النهاية على الرغـــم من كثرة مسئولياته ، الذى لم يأل جهدا في تقديم التوجيه والارشاد مما أنار لى الطريق فى كتابـــة هـــذا البحـــث فجزاه الله خيرا كثيـــرا .

كما أتقدم بالشكر الجزيل أيضا الى الدكتور / عبدالله السيد - الـــذى أسهم فى بلورة الخطة الأولى لهذا البحث .

وكذلك أتقدم بالشكر الى لجنة المناقشة المؤلفة من الدكتـور المشرف وكـــل من الدكتور عبدالرحمن الشميرى والدكتور ضيف الله الزهرانى لما أبـــــدوه من توجيهات أسهمـــت فى بلورة الصورة النهائية لهذه الدراسة .

كما أسجل شكرى وعرفانى بالجميل لسعادة الدكتور / نجم الدين عبدالغفـــور الأنديجانى - رئيس قسم التربيه الاسلاميه والمقارنه الذى أعاننى على مواصلـــة البحث والدراســـة .

ولا يفوتني أن أوجه الشكر والتقدير لكل من قدم لى العون والمساعدة مـــن الأخوان والزملاء العاملين بالتعليـــم .

والله أسأل التوفيق والنجــــاح .

* محتويات البحـــــث *

الموضـــــوع	الصفحـــــة
التمهيـد	١ - ٦
١ - المقدمـة	٢
٢ - أهمية البحث وأهدافـه	٤
٣ - تساؤلات البحـث	٥
٤ - منهج البحـث	٦
* الفصل الأول : (عصر الراغب الأصفهانـى)	٧ - ٣٤
أ - الحياه السياسيـة	٨
ب - الحياه الاقتصاديـة	١٣
جـ - الحياة الاجتماعيـة	١٧
د - الحياة العلميـة	٢١
* الفصل الثانـى : (سيرة الراغب الأصفهانى)	٣٥ - ٤٦
١ - نشأتـه	٣٥
٢ - مؤلفاته	٣٨
٣ - منهجه فى التأليف	٤٢
٤ - مصادر ثقافتـه	٤٣
٥ - مكانته بين علماء عصره	٤٤
* الفصل الثالث : (مفهوم التربيه عند الراغب الاصفهانى)	٤٧ - ٦٩
١ - معنى التربيه عند الراغب الأصفهانى	٤٧
٢ - غاية التربيه وأهدافها عند الرافب الأصفهانى	٤٨
٣ - وسائل التربية عند الراغب الأصفهانى	٥٨

* الفصل الرابع : (الانسان عند الراغب الأصفهانى) .... ٧٠ - ٨١
١ - الانسان مركب من بدن محسوس وروح معقول ٧٢
٢ - وحدة النفس الانسانيه وتعدل قواها ٧٥
٣ - الحكمة من خلق الانسان ٧٨

* الفصل الخامس : (المعرفة عند الراغب الأصفهانى) .... ٨٢ - ٩١
١ - المعرفة الحسيـــــه ٨٣
٢ - أهمية المعرفة العقلية وافتقارها الى الشرع وافتقار الشـــرع
لهـــــــا ٨٨

* الفصل السادس : (نظرة الراغب الأصفهانى الى الأخلاق) .... ٩٢ - ١٢٤
١ - تحديد مفهوم الخلق عند الراغب الأصفهانى ٩٣
٢ - قابلية الأخلاق للأكتساب ٩٦
٣ - تصنيف الفضائل عند الراغب الأصفهانى ٩٩
٤ - أسباب ازدياد الانسان فى الفضائل والرذائل عنـــــــــد
الأصفهانـــــــى ١٢٢
٥ - اسباب انتكاس الانسان فى الرزيلة عند الأصفهانى ١٢٣
٦ - أحوال الانسان فى تعاطى الفضيلة والرذيلة ١٢٤

* الفصل السابع : (نظرة الراغب الأصفهانى الى المجتمع) ...... ١٢٥ - ١٣٣
١ - الانسان والمجتمع ١٢٦
٢ - صورة المجتمع الفاضل ١٢٧

* الفصل الثامن : (مفهوم العلم عند الراغب الأصفهانى) .... ١٣٤ - ١٥٣
* تعريف العلم عند الأصفهانى ١٣٥
١ - اعتبار الجهل مرض علاجه العلم ١٣٨

٢ – الوسيلة الى العلم ١٤٠
٣ – أنواع العلوم ١٤٣
٤ – أسس تفاضل العلوم ١٤٧
٥ – فوائد العلم والتعليم عند الراغب الأصفهانى ١٤٨

الفصل التاسع : (واجبات المعلمين والمتعلمين عند الراغب الأصفهانى .... ١٥٤ – ١٨٠
أولا : واجبات المعلمين ١٥٥
ثانيا : واجبات المتعلمين ١٧١

الفصل العاشر :(الاسهامات التربوية للراغب الأصفهانى) .... ١٨١ – ١٩٦

الخاتمة .... ١٩٧ – ٢٠٩
* المصادر والمراجع .... ٢١٠ – ٢٢٢

* * * * * *

تمهيد

١ - المقدمة .
٢ - أهمية الموضوع .
٣ - مشكلة البحث .
٤ - تساؤلات البحث .
٥ - أهداف البحث .
٦ - حدود البحث .
٧ - منهج الدراسة .
٨ - الدراسات السابقة .

١- المقدمـــــــة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسليـــن سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين ،،، وبعد

فان كل أمة من الأمم تمر بفترات مـن تاريخها تجد نفسها مدفوعة الـــى الابتكار والتجديد نحو الأفضـــــل ، فتبحث عن الطريق الذي عليها أن تسلكه والوسائل التي يمكن أن تستعين بها حتى تصل الى التغير الذي تحتاجه لتحقــق الأهداف التي تسعى اليها من وراء هذا الابتكار والتجديد.

ولابد لكل أمـة تريد النهوض والتقدم أن تعود بتفكيرها الى الـــوراء فتختار من تاريخها فترات النهوض وسنوات الرقي في الماضي لتتعرف على العوامــل التي أدت الى نهضتها والأسباب التي دفعتها الى اليقظة والتقدم ، ثم تستخلـص ما يمكن أن يفيدها في حاضرها ويساعدها على تقدمها نحو المستقبل الأفضل .

ويكاد يكون من المتفق عليه أن التربية من أهم مكونات تراث أي مجتمـع ان لم تكن أهمها على الاطلاق – ثم انها من العوامل الرئيسية التي تدفـــع الى التغير وتسايره وتعمل من أجله،ذلك أن التربية في أساسها : هي العمليـة التي يتم بهاتنمية الأفرادتنمية متكاملة واعدادهم للحياة في مجتمعهم بنجـــاح، " والتربية الاسلامية هي أكثر نظم التربية تحديدا وتفصيلا وشمولا لمكونـــات الدائرة التربوية .... وأن هذا الوضوح والتحديد قد سريا فيما انبثق مـن أهداف وأساليب ووسائل . "(١)

وان تاريخ التربية الاسلامية يذكر لنا مربين أسهموا في بناء نظم هـــذه التربية ومؤسساتها ، ولكن الحاجة مازالت ماسة الى البحث في تفاصيل تاريـــخ التربية الاسلامية بغية تحديد الصورة التي كانت عليها التربية الاسلاميــــة والتطورات التي عرتهـا.

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية الاسلامية ، ط ١ ، (جده : دار المنار للنشر والتوزيع ، ١٤٠٧هـ) ، ص ٢٠ .

ومن المربين الذين كان لهم أثر بارز في فترة من فترات التاريخ الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني أو " الأصبهاني " المعروف بالراغب : أديب من الحكماء العلماء الذين أكدوا علو مكانتهم وجهودهم البناءة في عالم الفكر الاسلامي ولكنهم لم يلقوا العناية الجديرة بهم بسبب الانحصار في دائرة بعض فلاسفة المسلمين التقليديين* الذين كثر الاهتمام بهم وتشعبت حولهم الدراسات والأبحاث أمثال الكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، وابن رشد وغيرهم فاشبعتهم الدراسات بحثا حتى راجت أفكارهم واشتهرت أسماؤهم على حساب عدد آخر من حكماء الاسلام (١)

وقد ذكره السيوطي في بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة حيث قال : " صاحب المصنفات كان من أوائل المائة الخامسة "(٢).

وقد اختلف في تاريخ وفاته والأرجح أنه من مفكري القرن الخامس الهجري ولم تتحدث عنه كتب الطبقات ، لذا فقد مني بتجاهل منذ أيام عصره ، فلم يصلنا ما يدل على ولادته ونشأته وشيوخه وأخباره ، وفي تاريخ وفاته حدث اضطراب كبير ، كان فيه بعض المؤرخين القلة الذين تعرضوا له بايجاز يذكرون أنه عاش الى أوائل المائة الخامسة للهجرة ، وبعضهم يحدد هذا التاريخ بعام ٥٠٢ هـ . وقد رجح الدكتور عمر عبدالرحمن الساريسي محقق كتاب مجمع البلاغة للأصفهاني الرأي الأول (٣) ورجح غيره الرأي الثاني (٤).

---

* الذين حاولوا الباس الألفاظ الفلسفية ثوبا اسلاميا .

(١) مصطفى حلمي ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ط١ ، (الاسكندرية : دار الدعوة للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) ، ص ١٦٨ .

(٢) السيوطي ، بغية الوعاه ، ج ٢ ، ط١ ، (مطبعة عيسى الحلبي وشركاه بلا تاريخ) ص ٢٩٧ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، مجمع البلاغة ، تحقيق عمر عبدالرحمن الساريسي ، ج١ ، ط ١ ، (عمان : مكتبة الأقصى ، ١٩٨٦م) ، ص ٢٩ .

(٤) حسان محمد حسان ، نادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية ط١ ، (القاهرة : دارالفكر العربي ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) ص ٢٢٩ .

ومن المربين الذين كان لهم أثر بارز في فترة من فترات التاريخ الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني أو " الأصبهاني " المعروف بالراغب : أديب من الحكماء العلماء الذين أكدوا علو مكانتهم وجهودهم البناءة في عالم الفكر الاسلامي ولكنهم لم يلقوا العناية الجديرة بهم بسبب الانحصار في دائرة بعض فلاسفة المسلمين التقليديين* الذين كثر الاهتمام بهم وتشعبت حولهم الدراسات والأبحاث أمثال الكندي ، والفارابي، وابن سينا ، وابن رشد وغيرهم فاشبعتهم الدراسات بحثا حتى راجت أفكارهم واشتهرت أسماؤهم على حساب عدد آخر من حكماء الاسلام (١)

وقد ذكره السيوطي في بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة حيث قال : " صاحب المصنفات كان من أوائل المائة الخامسة "(٢).

وقد اختلف في تاريخ وفاته والأرجح أنه من مفكري القرن الخامس الهجري ولم تتحدث عنه كتب الطبقات ، لذا فقد مني بتجاهل منذ أيام عصره ، فلم يصلنا ما يدل على ولادته ونشأته وشيوخه وأخباره ، وفي تاريخ وفاته حدث اضطراب كبير ، كان فيه بعض المؤرخين القلة الذين تعرضوا له بايجاز يذكرون أنه عاش الى أوائل المائة الخامسة للهجرة ، وبعضهم يحدد هذا التاريخ بعام ٥٠٢ هـ . وقد رجح الدكتور عمر عبدالرحمن الساريسي محقق كتاب مجمع البلاغة للأصفهاني الرأي الأول (٣) ورجح غيره الرأي الثاني (٤).

* الذين حاولوا الباس الألفاظ الفلسفية ثوبا اسلاميا .

(١) مصطفى حلمي ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ط١ ، (الاسكندرية : دار الدعوة للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م) ، ص ١٦٨ .

(٢) السيوطي ، بغية الوعاه ، ج ٢ ، ط١، (مطبعة عيسى الحلبي وشركاه بلا تاريخ) ص ٢٩٧ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، مجمع البلاغة ، تحقيق عمر عبدالرحمن الساريسي، ج١ ، ط ١ ، (عمان : مكتبة الأقصى ، ١٩٨٦م) ، ص ٢٩ .

(٤) حسان محمد حسان ، نادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية ط١، (القاهرة: دارالفكر العربي ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) ص ٢٢٩.

وقد كان للراغب الأصفهانى أثر واضح فى التربية فان نظرة فى كتبة التى تناولت هذا الجانب مثل كتابه : " الذريعة الى مكارم الشريعة " تبين أنه تعرض لتربية الانسان وقواه ، وأخلاقه وللعقل وأنواعه وتوابعه وللعلم والمعرفة وللجهل وأنواعه .

كما أنه تعرض للمنهج فحصر العلوم وبين فضلها واستحسان معرفة أنواع العلوم وأحوال الناس منها مايجب أن يتحراه المتعلم مع معلمه وما يجب أن يتحراه المعلم مع المتعلمين منه الى جانب ذلك من الأفكار التربويه التي قد تسهم فى تطوير الجهود التربوية المعاصرة .

ويمكن القول أن الراغب الأصفهانى قد أسهم فى الحياة التربوية اسهاما غير قليل فى عصره .

ونظرا لأهمية الجانب التربوى عنده فان الباحث استعرض فى هذا البحث فكره التربوى من خلال مؤلفاته المطبوعة التى تمكنت من الحصول عليها ومن كتب عنه بصفة خاصه .

أهمية البحث وأهدافه :

ان تاريخ التربية الاسلاميه يذكر لنا علماء ومصلحين أمثال الغزالى وابن تيميه غير أن هناك من المربين الذين تركوا بصماتهم واضحة جلية على التربية الاسلاميه فى فترة من فترات التاريخ لم يحظوا بهذا الاهتمام وكان الفكر التربوى الاسلامى قد توقف عند اولئك المفكرين الذين لم يجدوا اهتماما تربويا الحسين بن محمد المفضل الملقب بالراغب الأصفهانى أو الأصبهانى تلك الشخصية التى كان لها أثر واضح فى التربية فى عصرها .

ويستمد هذا البحث أهميته من جانبين :-

الأول : أنه يتناول الفكر التربوى عند مفكر مسلم نشأ فى ظل الحضارة الاسلاميه وتربى وتثقف بالتربية الاسلاميه . ومن هنا يستمد البحث أهمية التربية الاسلاميه وأهمية البحث فيها .

الثانى : أهمية دراسة الفكر التربوى للراغب الأصفهانى لأنه يعد من رجالات التربيه الذين أسهموا فى بلورة مفهوم التربيه الاسلاميه وما يعود به ذلك من فائدة على وضعنا التربوى القائم للمساهمة فى بناء الأنظمة التربوية القائمة .

الثالث : اظهار التجديد والعطاء المستمر فى الفكر التربوى الاسلامى من خلال العصور المتقدمه وأن الفكر الاسلامى لم ينضب معينه أو يتوقف عطاؤه منذ صدر الاسلام وحتى عصرنا الحاضر.

تساؤلات البحث :

١- ما الأفكار التربويه عند الراغب الأصفهانى ؟ .

٢- ماهى أهداف وأساليب التربيه عند الراغب الأصفهانى ؟

٣- ما الاسهامات التى يمكن أن تساعدنا فى بلورة الأسس التربويه لمهنة التعليم التى تسعى المؤسسات التربوية فى العالم العربى الى صياغتها والاستفادة منها .

* منهج البحث :

اعتمد الباحث فى هذه الدراسة على المنهج العلمى القائم على جمع المادة العلمية من مصادرها ثم تحليل النصوص وتفسيرها وعرض النتائج التى تؤدى اليها هذه التفسيرات بقصد التوصل الى حقائق وتعميمات تساعد على فهم الماضى والحاضر والتنبؤ ما أمكن بالمستقبل .

وسوف يظهر هذا المنهج عن طريق ابراز المبادئ والأهداف التى تضمنها فكر الراغب الأصفهانى باعتباره أحد المفكرين المسلمين الذين أسهموا فى تراثنا التربوى ولم يوجه أحد جهدا كبيرا لدراسة تراثه التربوى لمحاولة مزيد من العطاء والتجديد فى الفكر التربوى الاسلامى ثم مقارنة فكره وتأييده بأراء العلماء من مفكرى الاسلام .

الفصل الأول

* عصر الراغب الأصفهاني *

-x-x-

أ - الحياة السياسية .

ب - الحياة الاقتصادية .

ج - الحياة الاجتماعية .

د - الحياة العلمية .

* تقديـــــــم :

المفكر صورة ترسمها العوامل المتباينة التي تحيط به في زمانــــه ، والفترة التي يعيش فيها من أهم الدراسات لنفهم آراءه التربوية ولذلـــك لن نستطيع أن نفهم فكـر الراغب الأصفهاني في ميدان التربية والتعليـــم الا اذا وقفنا على طبيعة البيئة الخاصة التى ساعدت على تكوين شخصيته وأفكـاره وطبيعة العصر الذى عاش فيه وأن نستعرض جوانب الحياة السياسيه والأقتصاديـــة والاجتماعية في هذا العصر لتحديد الصورة الحقيقية التي كانت عليها الحياة في عصر الأصفهاني وكيف تأثرت شخصيته بتلك الحياة سلبا أو ايجابا ، أمــا تفاصيل هذه الحياه فهي كما يلي :

أ ـ الحيــاة السياسيــة :

اتسمـت الدولة العباسية في بداية أمرها بالقوة والمنعة ولكن نتيجـة للانقسام السياسي والضعف الذي أصاب العالم الاسلامي في القرن الخامــس الهجري ولم يبق للخليفة العباسي في هذا العصر من الأمـر شيء اللهم ما كـان متعلقا بالديـن وشعائـره العامـة.(1)

فقد انقسمت الدولة العباسية الى عدة أجزاء فكان العراق وفـــارس

(1) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ، ط ١ ، (القاهـرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م) ج٤ ص ٢٠٣

وهمدان والري تحت سيطرة بني بويه (٣٣٤-٤٤٧)كذلك حلت الدولة الغزنويه محل الدولة السامانية فاستولت على خراسان وخوارزم وسجستان وجرجيا ثم أخذت في توسيع رقعتها ونشر سلطانها . ففي سنة ٤٢٩ هـ استولى طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق على مرو حاضرة خراسان كما التقى جيش طغرلبك بجيش الغزنويين عند باب مدينة سرخس وانتصر عليهم انتصارا حاسما (١) فكانت هذه الموقعة كما يقول ابن الأثير - هي التي ملك السلجوقيون بعدها خراسان ودخلوا قصبات البلاد .

ولقد استمرت الحروب بين السلاجقة والغزنويين ثلاث سنين ثم وقع الخلاف بين جند مسعود الغزنوي فأتاحوا الفرصة لجند داود السلجوقي فغنموا غنائم لاتحصى وسار طغرلبك الى نيسابور واستولى عليها في أوائل سنة ٤٣٢ هـ (٢). وفي سنة ٤٣٣ هـ (٣) استولى طغرلبك على جرجان وطبرستان وأقيمت له الخطبة في هذه البلاد وفي السنة التالية استولى على خوارزم (٤).

واتسع سلطان السلاجقة حتى فاق سلطان البيت الغزنوي وكان عصرهم أكثر ازدهارا وملكهم أعظم رقعة.

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ط (بدون) (بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م) ، ص ١٥ .

(٢) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٨، ص ٢٥ .

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٨، ص ٣٢ .

(٤) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٨، ص ٣٣ .

أما في بغداد فقد كان أمراء بني بويه يجمعون كل السلطة فيأيديهم وأتخذ أبا كاليجار أحد سلاطين دولة بني بويه من تقربه للفاطميين وسيلة لارهاب الخلفاء العباسيين وليحول دون تقرب العباسيين من السلاجقة الذين أخذوا يهددون سلطان بني بويه ، ونتيجة لذلك أخذ الخليفة المستنصر الفاطمي يجتهد في مناوأة الخلفاء العباسيين لذلك نراه يؤيد أبا الحارث البساسيري في ثورته على الخليفة العباسي ويمده بالمال والرجال ويبعث داعيته الجريء هبة الله الشيرازي لاثارة حماس جند البساسيري وحثهم على اذكاء الثورة في وجه الخليفة العباسي ، ولم يكتف الخليفة الفاطمي بذلك بل عمل على توحيد كلمة الأتراك بزعامة البساسيري والعرب بزعامة دَبيس بن علي بن مزيد أمير عرب الفرات ، ولم يقف نشاط الفاطميين فى مناوأة العباسيين عند هذا الحد فقد قام المؤيد في الدين بدور هام في نشر الدعوة* للخليفة المستنصر بالله الفاطمي في بلاد العراق .(١)

ونتيجة لضعف الحكم العباسي في العراق أيام دولة بني بويه فقد اتخذ الخليفة العباسي القائم من السلاجقة درعا للتخلص من البويهيين الفرس الموالين للدولة الفاطميه . و أرسل الخليفة العباسي رسولا الى طغرلبك يدعوه الى دخول بغداد.(٢)

---

* دعوة نشر المذهب الشيعى الذى كان سائدا فى مصر خلال عصر الفاطميين .

(١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ، ج ٤ ، ط ١ ، ص ١٢ .

(٢) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ط ٢، (بيروت : دارالآفاق الجديدة ١٩٧٨م) ، ص ٨ - ٩ .



ويصف ابن الأثير في حوادث سنة ٤٤٧ هـ الطريقة التي زحف بها طغرلبك الى بغداد فيذكر أن طغرلبك أظهر أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة، والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر صاحبها [(١)] . وقد أعد طغرلبك لذلك الأمر الخطير عدته ولما وصل الى حلوان* اضطربت بغداد "وأجفل الناس الى غربها وعسكر الأتراك بظاهرها وسمع الملك الرحيم بقرب طغرلبك من بغداد فخرج من واسط اليها وفارقه البساسيري في الطريق لمراسلة وردت من القائم في معناه الى الملك الرحيم ، أن البساسيري خلع الطاعة وكاتب الأعداء يعني المصريين وأن الخليفة له على الملك الرحيم عقود وله على الخليفة مثلها فان آثره فقد قطع ما بينهما ، وان أبعده وأصعده الى بغداد ، تولى الديوان تدبير أمره . فقال الملك الرحيم ومن معه : نحن لأوامر الديوان متبعون وعن البساسيري منفصلون ." [(٢)]

وقد حارب طغرلبك البساسيري وانتصر عليه وقتله وحمل رأسه الى بغداد [(٣)] (سنة ٤٥٠هـ) وبدأ فترة جديدة في تاريخها وكانت معاملة السلاجقة للخلفاء العباسيين بصفة عامة أحسن بكثير من معاملة بني بويه لهم.

وكان مرد هذا الاحترام الى أن السلاجقة أقروا شرعية حكم الخلفاء العباسيين باعتبارهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى مذهبهم

---

(١) ابن آلاثير ، الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٧١

* حلوان وهى فى آخر حدود السواد ممايلى الجبال من بغداد وهى مدينة عامرة ليس بأرض العراق أكبر منهم (أنظر معجم البلدان شهاب الدين ياقوت الحموى ط ١٣٧٥هـ بيروت ج٢ ص ٢٩٠- ٢٩١) .

(٢) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ٧١ .

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ج ٨ ص ٨٦ .

مذهب أهل السنة والجماعة من جهة ولوجود مصاهرة بين العباسيين والسلاجقة من جهة أخرى ويدل على ذلك الاحترام :الاجتماع الذي عقد بين السلطان طغرلبك عندما عاد الى بغداد حيث وصف ابن الأثير في حوادث سنة ٤٤٩هـ ذلك الاجتماع بقوله : " وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة جلوسا عاما ، وحضر وجوه عسكر السلطان وأعيان بغداد ، وحضر السلطان في الماء وأصحابه حول السميريات* فلما خرج من السميرية أركب فرسا من مراكب الخليفة ، فحضر عند الخليفة ، وهو على سرير عال من الأرض نحو سبعة* أذرع ، وعليه بردة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيده القضيب الخيزران ، فقبل السلطان الأرض وقبل يده وأجلسه على كرسي ، فقال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل له ان أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده ورد عليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك واعترف بنعمته عليك في ذلك ، واجتهد لنشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية ، فقبل الأرض وأمر الخليفة بافاضة الخلع عليه ، فقام الى موضع لبسها فيه ، وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينه ، وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب"(١) حين تمكن من القضاء على سلطان بن بويه في العراق وبلاد فارس ٠

ومع هذا الاحترام الظاهري للخلفاء الا أن السلاجقة العسكريين حكموا العراق واستأثروا بالسلطة فكانت لهم السلطة الزمنية في العراق بينما

---

* نوع السفن الصغيرة المعدة للنزهة في عرض الأنهار ٠

* الذراع يساوي ٥٥ سم ٠

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ٨ ص ٨٠ ٠

تركوا السلطة الدينية بيد الخليفة العباسى ٠

ومن الأمور البارزة فى القرن الخامس الهجرى القضاء على القرامطة الزنادقة وتطهير شرق الجزيرة منهم بعد الانتصار الذى أحرزه السلاجقة عليهم فى معركة الخندق سنة ٤٧٠هـ ، وقد شكل القرامطة مصدر رعب للمسلمين عموما وللدولة العباسية بوجه خاص (١)

وقد كان لتلك الانقسامات الأثر الواضح فى الداخل والخارج ولا بد أنها تركت آثارها العميقة فى نفوس المواطنين أمثال الراغب الأصفهانى وفى منهج تفكيره ونظرته للأمور والقضايا التى عالجها فى ميادين الفكر والتربيه ٠

ب - الحياة الأقتصادية :

"تتحدث المصادر التاريخية التى تناولت العصر السلجوقى فى العراق عن الكوارث والأزمات الاقتصادية التى كثيرا ما أجتاحت البلاد فى هذا العصر ، ومما يدعو الى الدهشة والأستغراب وقد أتفق الكثير من هذه المصادر فى وصف حالات الجدب والقحط والفيضانات والدمار" (٢) وقلت الأمطار وغلاء الأسعار " التى كانت نتائجها حصول أزمات خانقة نجم عنها اضطرار الكثير من الناس الى الجيف والقطط والكلاب وبالتالى حصول ضربات وبائية حادة كان من نتائجها موت الآلاف من الناس وتوطن الأمراض ٠ (٣)

" ولعل من المناسب الاشارة الى نماذج من ذلك لما لها من تأثير سلبى

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ج ٤ ، ص ٢٥٨ ٠

(٢) مريزن سعيد عسيرى ، الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى ط ١ (مكة المكرمة مكتبة الطالب الجامعى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ص ٩٨ ٠

(٣) المرجع السابق ص ٩٨ ٠

فى الحياة الاقتصادية للعراق خلال هذه الحقبة [١] " فقد ضرب الفقير والحاجه عامة الناس ففى عام ٤٤٧هـ "وقع غلاء شديد على الناس ونهب كثير ببغداد وفى هذه السنة انقطعت طرق التجارة على العراق لخوف النهب وقلت الأسعار وكثر الغلاء وتعذرت الأقوات " [٢] نتيجة للحرب التى شنها طغرلبك مؤسس الامارة السلجوقية ضد آل بويه . وغليت الأدوية وما يحتاج الية المرض كثيرا وفى سنة "(٤٤٩هـ) كان الغلاء والوباء مستمرين . [٣]

"وفى سنة (٤٦٨هـ) جاء جراد بعدد الرمل والحصى فأكل الغلات وأذى الناس فجاعوا فطحن الخروب بدقيق الدخن فأكلوه " [٤]

وفى الوقت الذى أصابت الأزمة الاقتصادية عامة الناس تقدم المصادر صورا جانبية عن البذخ والأسراف فى روايات متواترة فابن الأثير وابن الجوزى [٥] يرويان لنا أخبار حفل زفاف الأميرة خانون ابنة السلطان ملكشاه السلجوقى الى الخليفة العباسى المقتدى وابن كثير الحافظ المؤرخ [٦] يروى لنا فى تاريخه زفاف الخليفة العباسى القائم بأمر الله من بنت أخى السلطان طغرلبك وجدير بالذكر أن اقتصاد العراق كان يعتمد على الزراعة بالدرجة الأولى .

" فصلاح الزراعة وفسادها له تأثير عظيم على اقتصاد الدولة وحياة الناس وخلال فترة التسلط البويهى على العراق انتهج أمراء بنى بويه سياسة غير مسؤولة لم يعطوا خلالها أية أهمية لمصالح الرعية

---

(١) مريزن سعيد العسيرى الحياة العلميه فى العراق فى العصر السلجوقى ص ٩٨

(٢) ابن الأثير الكامل فى التاريخ جـ ٨ ص ٧٩ .

(٣) ابن كثير جـ١٢ ص ٧٠-٨٠ .

(٤) ابن كثير المصدر السابق ص ٨١ .

(٥) ابن الأثير الكامل فى التاريخ جـ٨ ص ١٤٥ وابن الجوزى المنتظم تاريخ الملوك والأمم (مطبعة دار المعارف العثمانية الدكن ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م) جـ٩ ص ٣٦ .

(٦) ابن كثير البداية والنهاية جـ١٢ ص ٦٧ - ٦٨ .

ولا حتى مصلحة حكومية ، حتى خربوا البلاد ، عن طريق تطبيقهم لنظام الاقطاع الذى يقوم على أساس اقطاع لوارد الأرض فى أراضى لها زراعها وملاكها الى الجند والقاده " (١) .

"وهكذا فان نظام الاقطاع الذى اتبعه البويهيون قد أدى الى خراب البلاد ، والى قلة واردات بيت المال " (٢) .

ان اتساع الدولة السلجوقيه والحرص على ضمان وسلامة وحماية ثغورها وحدودها واصلاح أمر البلاد ، حدا بالوزير نظام الملك الى اتباع نظام الاقطاع ، ولم يتبع نظام الملك النظام الاقطاعى الذى كان سائدا فى العصر البويهى نفسه بل أراد النظام الاقطاعى الذى يتمشى مع الأهداف المحدودة والتى من أجلها أقامه فالعراق فى العصر السلجوقى قسم الى اقطاعات ، وزعت بين أفراد البيت السلجوقى (٣) . كما أن هناك نوع الأقطاعات فى العصر السلجوقى وهو اقطاع التمليك وبموجبه تنتقل الى المقطع جميع حقوق التملك بما فى ذلك حق التوارث ولا يتحمل المقطع فى منح مثل هذه الحالة سوى العشر .

ان منح مثل هذا الاقطاع يجرى عادة على الأرض الموات يقعد أحيائها وربما على الأرض البشريه وهى الأرض العامرة التى تافى صاحبها دون وارث (٤) .

---

(١) مريزن سعيد العسيرى الحياة العلميه فى العراق فى العصر السلجوقى ص١٠ .

(٢) المرجع السابق ص١٠١ .

(٣) المرجع السابق ص١٠٤ .

(٤) المرجع السابق ص١٠٥ .

وكانت اقطاعات الخلفاء كبيرة ومواردها متنوعة كان يقرها لهم السلاجقة وقد زاد السلاطين السلاجقة فى اقطاعات الخلفاء فتحسّنت أحوالهم المادية فطغرلبك حينما خطب ابنه الخليفة القائم بأمر الله زاد اقطاعاته احتفالا بالمناسبة السعيدة وقد صادرها عندما اختلف معه .

وكانت موارد العراق الماليه تذهب الى خزانة السلطان السلجوقى ليتصرف فيها بحرية تامه وكأنها خزانته الخاصه .(١)

أما بالنسبة للموارد الزراعية فى العراق فى العصر السلجوقى فالمصادر التاريخية لا تنفعنا بمعلومات وافرة عنها ، ولكن يتضح من اشارات عابرة عرض لها بعض المؤرخين والرحالة أن الزراعة كانت منتعشة فى هذه الفترة الى حدما وأنها لاقت شيئا من الاهتمام على الرغم من الحوادث والكوارث الطبيعية التى كانت تجتاح البلاد .(٢)

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧ .

جـ ـ الحيـــــاة الاجتماعيـــــــة :

تأثرت الحياة الاجتماعيه تأثرا كبيرا بالحياه السياسية والاقتصادية لأن الأ مة اذا لم يتحقق لها الاستقرار والموارد الاقتصاديـــة الكافيـــــة فان التقدم الاجتماعى سيكون تبعا لهما ولا يمكن أن تعيش أمة فـــــــى صراعات داخليه وخارجية ويكون أبناؤها يعيشون حياة اجتماعيـــة هادئـــــة ومستقـــرة (١) .

وكان المجتمع فى القرن الخامس الهجرى يتكون من أجناس وطبقـــــات مختلفة ليسوا من جنس واحد ولا يربطهم مذهب واحد ، ولا تجمعهم عقيدة واحدة ، ولا تحيطهم عادات وتقاليد متقاربة ، بل كان مجتمعا متنافرا فى العـــادات والتقاليد والعقائد ، فهناك العرب والفرس والترك والنبط والبربر وغيرهم مما ترك أثرا بالغا على الحياة الاجتماعيـــة القائمة فى الأقطـــــار الاسلامية الممتدة بين الأندلس والشمال الأفريقى غربا ومصر والشام والعـــراق وما جاورها شرقا .

" أما فى بغداد خاصة فقد كان السكان يؤلفون خليطا من العرب والفـــرس والترك والنبط والأرمن والجركس والأكراد والكرج والبربر" ولو أن تسمية هؤلاء جميعا بالعرب قد غلبت عليهم لانصهارهم فى بوتقة الشعب العربـــــى وسيادة اللغة العربيه (٢) . "

---

(١) عبد الرؤوف يوسف عبد القادرعبد الرحمن " أخلاق العالم والمعلم عند أبـى بكر الأجرى " (رسالة ماجستير قدمت الى قسم التربية الاسلاميه والمقارنه ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمه ، ١٤٠٨هـ) ص ١٤ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى جـ ٤ ص ٦٢٥ .

وبصفة عامه نستطيع أن نقول بأن المجتمع فى هذا العصر يتميز بما يلى :

١- تعدد عناصر المجتمع :

أ - العرب : كما ذكرنا سابقا أن تسمية جميع الأجناس التى كانت تسكن العراق فى العصر السلجوقى من عرب وفرس وترك ونبط وأرمن وبربر ... وغيرهم قد غلبت عليهم تسمية العرب لأ نصهارهم في بوتقة الشعب العربى وسيادة اللغة العربيه .

ب - أهل الذمه : " كان أهل الذمة من اليهود والنصارى يشكلون طبقة مهمة فى العراق فى العصر السلجوقى "(١) ويقيمون شعائرهم فى أمن وطمأنينة

ج - الرقيق : ومن طبقات المجتمع الرقيق الذين يكونون طبقة كبيرة من أسرى الحروب وكان الخدم والرقيق رجالا ونساء يقومون بخدمة الخليفة وحاشيته فى دار الخلافة ويقومون بخدمة الناس ، وقد جلب أغلب الرقيق فى العصر السلجوقى من بلاد ماوراء النهر(٢) وقد وصل الكثير منهم الى درجة الأمارة ولعبوا دورا هاما فى هذا العصر(٣) .

٢- اختلاف العقائد :

كان الى جانب المسلمين أهل الذمة وهم اليهود والنصارى وكانوا يتمتعون بكثير من سياسة التسامح الدينى ويقيمون الشعائر فى أمن

---

(١) مريزن سعيد العسيرى الحياة العلميه فى العراق فى العصر السلجوقى ص ١٠١.
(٢) حسن ابراهيم حسن تاريخ الأ سلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعىص ٦٢٦.
(٣) مريزن سعيد العسيرى الحياة العلميه فى العراق فى العصر السلجوقى ص ١١١.

وطمأنينة ، وكان كثير من الخلفاء يحضرون مواكبهم ويشاركونهم في الاحتفال بأعيادهم.(١)

٣ - اختلاف المذاهب والفرق :

كذلك كان للنشاطات المعادية التي كانت تمارسها المذاهب والفرق المتطرفة كالقرامطة والدرزية والنزارية والباطنية والاسماعيلية وغيرهم أثر على الحياة الاجتماعية ولذلك لم تنقطع المنازعات بين أهل السنة والشيعة الاسماعيلية وكثرت الفتن بين الطائفتين ففي سنة ٤٤٥ هـ تجدد الشر والقتال والحريق بين أهل السنة والروافض وجرى الأمر وتفاقم الحال.(٢)

وزادت تحديات الاسماعيلية " فأخذوا يوجهون الدعاة الى الشام والجزيرة العربية والعراق وفارس ، بالاضافة الى نشاطاتهم العسكرية واستغلالهم لظروف الاضطراب الاقتصادي والاجتماعي في هذه الأقطار ".(٣)

" وقام بعض الصالحين في وجه هذا التيار ، وأنكروا تفشي الخمور ، ويذكر ابن الأثير أن شخصا أتلف آلة الغناء التى تستعملها أحدى الغانيات كانت

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص٦٢٦ - ٦٢٧ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، مصدر سابق ، ص٦٤ .
(٣) ماجد عرسان الكيلاني ، تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية ، ط ٢، (المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م) ، ص١٣٦.

تصطحب جنديا من السلاجقة الأتراك ، فاجتمعت العامة بزعامة علماء الدين واستغاثوا بالخليفة طالبين اليه أن يأمر بهدم الحانات وتعطيلها ، ويظهر أن الخليفة الذي لم يعد له من الأمر شيء اكتفى بأن وعد بعرض الأمر على السلطان السلجوقي .(١) "

وكان لتلك الصراعات السياسية والاقتصادية والفساد الاجتماعي أكبر الأثر في نفس الراغب الأصفهاني وفي كتاباته التربوية التي استهدفت الاسهام في معالجة ما أصاب حياة الناس فقد شرح ما يجب أن يكون عليه الانسان الفاضل وناقش أحوال الناس ومنازلهم في تعاطي الأحوال المحمودة والمذمومة وطرقها (٢) ، كما تعرض لأصناف الناس (٣) وأخلاقهم وامكانية تحقيق المثل الأعلى والفضائل الكريمة في سيرة الفرد والجماعة فأشار الى أهمية الشريعة وأصول الدين في تربية الانسان التربية الصحيحة ولعل كتابه الذريعة الى مكارم الشريعة يدل على هذا المعنى .

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ٤ ، ص ٦٣٢ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ط (بدون) (حلب : المطبعة العربية ، بلا تاريخ) ، ص ٩٠ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م) ، ص ٨٨ .

د ـ الحياة العلمية :

على الرغم من كثرة الصراعات السياسية وضعف مستوى الحياة الاقتصادية الا أن الحياة العلمية ظلت ناشطة في شتى مجالات المعرفة وكان هناك مراكز عدة للثقافة والأدب منها :

١ ـ أصبهان والري حيث أقام بوجه عام الصاحب بن عباد الذي تقلد الوزارة لأحد أبناء ركن الدولة البويهي ، وكان بلاط بني بويه مكانا للعلم يؤمه العلماء ورجال الأدب .

٢ ـ بلاط السلطان محمود الغزنوي في غزنة وكان من أحسن السلاطين ميلا للأدب وتشجيعا للعلماء .

٣ ـ بلاط السلاجقة في مرو حاضرة خراسان حيث أقام أمراء السلاجقة ولاسيما في عهد السلطان سنجر ثم في عهد أمراء الخوارزميين .

وقد نافست قرطبة : بغداد والقاهرة وبخارى وغزنة و أصبهان وغيرها من أمهات المدن الاسلامية وجذبت مساجدها الأوربيين الذين وفدو اليها للتزود من الثقافة الاسلامية (١) .

وظهر الى جانب تلك المراكز الثقافية فى هذا العصر عدد من المعاهد الثقافية منها :

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ٤ ، ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

أولا : المـــدارس :

لم تكن المدارس المخصصة لدراسة العلم قد أنشئت من قبل حتى آخر عهد الخليفة العباسي المتوكل وكان نشوؤها بعد ذلك "ويرى الذهبي أن نظام الملك الذي استوزر للسلاجقة من سنة ٤٥٦ هـ الى سنة ٤٨٥ هـ هو أول من أنشأ المدارس ، فبنى مدرسة ببغداد ، ومدرسة ببلخ ، ومدرسة بنيسابور ، ومدرسة بهراة ، ومدرسة بأصبهان ، ومدرسة بالبصرة ، ومدرسة بمرو ، ومدرسة بأمل طبرستان ، ومدرسة بالموصل ، ويقال أن له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة . وقد رد عليه بعض المؤرخين هذا القول كالسبكي والسيوطي وغيرهما ، وقالوا كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعيدية بنيسابور بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود ، "(١) وذكر ابن الأثير أن نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي عام (٤٥٩هـ) قد فرغ من عمارة المدرسة النظامية في بغداد وتقرر التدريس بها للشيخ أبي اسحاق الشيرازي (٢) ، كما أسس نظام الملك المدرسة النظامية وجلس في خزانة الكتب وطالع فيها كتبا وسمع الناس عليه في المدرسة جزء حديث وأملي جزءا آخر (٣) ، ولم يقتصر الخلفاء والوزراء

---

(١) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ط ٧ ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، (بلاتاريخ)) ، ص ٤٩ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ١٠٥ .

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٤٧ .

على بناء المدارس فى سائر الامصار والبلاد بل أكرموا العلم وأهله فنجد أن نظام الملك " أجرى الجرايات والمخصصات المالية العظيمة "لطلاب العلم .(١)

ثانيا : المساجد :

وكان المسجد أكبر معهد للدراسة ولم تكن المساجد مخصصة للعبادة فقط بل كانت تؤدى فيها أعمال مختلفة . فهو مكان للعبادة تقام فيه الصلاة وتلقى فيه الخطب والمواعظ وكان محكمة للقاضى ، والذى يهمنا الآ ن أن المسجد كان معهدا للدراسة . وتلقى العلم وتخرج العلماء ومشاورة أهل الحل والعقد فى الأمور الدنيوية والدينية . وقد استمر المسجد كذلك مكانا لتعليم القرآن والحديث ولما تنوعت العلوم فى العصر العباسى تنوعت كذلك حلقات الدروس فهناك حلقات يدرس فيها النحو وغيره من الفنون المختلفة وكان المعتزلة يدرسون علم الكلام فى المسجد وهو مكان أيضا للمناظرة فى شتى العلوم . (٢)

ثالثا : مجالس المناظرة :

من أهم معاهد العلم مجالس المناظرة فى الدور والقصور والمساجد وبين العلماء وفي حضرة الخلفاء ، وكانت تدور المحاضرة فى العلوم التالية : فى الفقه والنحو والصرف ، والمسائل الدينية ، وقد ازدهرت المناظرات تبعا لأ زدهار الشغف العلمى وطمعا فى منائح الأمراء والخلفاء ، ونيل الحظوة عندهم وكان الخلفاء والوزراء والسلاطين يساهمون فى الحركة العلمية ، ويشاركون فى الرأى ، ويؤيدون

---

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ١٦٢ .

(٢) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، جـ٢، ص ٥٢-٥٣ .

بعضا ويفندون بعضا ، فاستعد العلماء للمناظرة وتسلحوا لها رغبة في الشهرة والحظوة ، وكان الخلاف شديدا في المذاهب الفقهية بين أنصار الرأي وأنصار الحديث والمذاهب الدينية المختلفة ، كما أن هناك مناظرات بين العلماء في النحو والصرف (١) ، وكانت هذه المجالس والمناظرات سببا كبيرا من أسباب الرقي العلمي وحافزا للعلماء للبحث والنظر ، وحملتهم على الجد في تصفية المسائل حتى يظهروا في هذه المجالس مظهر الخبير الثقة الدقيق النظر ، وحتى لايفشلوا فيكون في هذا الفشل القضاء عليهم . فكانوا يطيلون النظر ويعدون العدة الطويلة لمثل هذا الموقف (٢) .

رابعا المكتبات :

لما نشطت حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي وتقدمت صناعة الورق ، تبع ذلك ظهور كثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب واتخذ العلماء والأدباء أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم ، فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وغيرها ، وأصبحت هذه المكتبات فيما بعد من أهم مراكز الثقافة الاسلامية وحيث عمل الخلفاء العباسيون على امداد بيت الحكمة بمختلف الكتب ، وظلت هذه الخزانة قائمة حتى استولى التتار على بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) (٣) .

---

(١) أحمد أمين ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤ .
(٢) أحمد أمين ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٩ .
(٣) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ٤ ، ص ٤٣٠ .

وأحرقوا محتويات هذه الخزائن وتغيرت مياه دجله والفرات من نفائس المخطوطات التى ذهبت أدراج الريـــاح ٠

ومن خزائن الكتب فى العراق فى العصر السلجوقى :

أ ـ خزائن الخلفـــاء : من هذه الخزائن خزانة الخليفه المقتدى بأمر اللـــه الذى تولى الخلافة من سنة ٤٦٧هـ ـ ٤٧٧هـ وحوت خزانة كتبه الكثير مـــن النفائس فقد ذكر أبوعلى يحى بن عيسى بن جزله ـ الطبيب البغـــدادى المتوفى عام ٤٩٣هـ أنه ألف للخليفة المقتدى كتابين أولهما كتـــاب تقويم الأبدان وثانيهما كتاب الأنسان وأن النسخ الأولى من هذين المؤلفيـن وزعت فى خزانة المقتدى ٠ (١)

ب ـ خزائن كتب الوزراء والأمراء : " أقتدى الأمراء والوزراء بسير الخلفـــاء وخططهم فى تأسيس دور الكتب ورعايتها ودوام استمرار الوقف لها وامدادها مساروا على خطاهم مما أدى الى ازدهار الحركة الفكرية وكثرت المكتبات الموقوفه من الأمراء والوزراء لهذا الغرض النبيل ، ومن ذلـــك دار كتب الوزير بن شاه مردات بالبصره التى أوقفها على طلبة العلـــم وقد ذكر بن الجوزى أن الأعراب أحرقوها حين دخلوا البصرة عـــام ٤٨٣هـ وهكذا احترقت الكتب هذه والتى كان بها الكثير من نفائـــس الكتـــب ٠ " (٢)

جـ ـ خزائن الكتب العامـــة : وتشمل خزائن الكتب العامة الخزائن الموقوفـــة ، وخزائن كتب المدارس والمساجد والأربطـــة المنتشرة فى العراق فـــى العصر السلجوقـــى ٠

ولا شك فى أن خزائن المدارس هى خزائن عامة فقد كان الطلاب والعلمـــاء

---

(١) مريزن سعيد العسيرى ـ الحياة العلميه فى العراق فى العصر السلجوقـــى ص ١٩٥ ٠

(٢) مريزن سعيد العسيرى ـ المرجع السابق ص ١٩٦ ٠

والأساتذة ، يرتادونها ويستفيدون من خدماتها ومن المعروف أن خزانة المدرسة النظامية قد حوت كل نادر وكل نفيس فى كل من المؤلفات ، ولا سيما وأن هذه الخزانة قد أوقف عليها ، اضافة الى محتوياتها الأصلية ، والكثير من الكتب والمكتبات .

أما خزانة كتب أبى حنيفة التى أنشأها المتوفى شرف الملك أبو منصور العميد الخوارزمى، والتى أفتتحت عام ٤٥٩هـ فقد أحتوت على نفائس الكتب والمصنفات التى وقفت على طلبة العلم (١) .

د ـ خزائن الكتب الخاصه : أشارت المصادر الى بعض تلك الخزائن التى كان لأصحابها فضل فى ايقافها على طلبه العلم ، بالأضافة الى أن هناك عددا من مشاهير العلماء كانت لهم خزائن ضخمة ومنهم الخطيب البغدادى الحافظ أحمد بن على المتوفى عام ٤٦٣ هـ . كان يمتلك مكتبة ضخمه أوقفها على المسلمين (٢) أما أبو الحسن محمد بن هلال الصابى الملقب بغرس النعمه المتوفى عام ٤٨٠هـ فقد ذكر بن جوزى أنه " قد ابتنى بشارع بن عوف دار كتب وأوقف فيها نحوا من أربعمائة مجلد فى فنون العلوم ورتب بها خازنا يقال له ابن الأقساس العلوى وتكرر اليها العلماء سنين كثيرة (٣) ".

---

(١) ابن الجوزى ، المنظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ٨ ص ٢٦٩ .

(٢) المصدر السابق ج ٩ ص ٤٢ .

(٣) ابن كثير البداية والنهاية ج١٢ ص ٣١٦ .

أما ابن كثير فقد ذكرأن عدد الكتب التى أوقفها عرس النعمة هـو أربعة آلاف مجلد[(١)] " وكان لعبد السلام بن بندار القزوينى خزانة كتب ضخمة ذكر القرشى نقلا عن النجار وحدثنى بعض أهل العلم أن أبا يوسف ورد بغداد ومعه عشر جمال تحمل دفاتر ، وأكثرها بالخطوط المنسوبة ومن الأصول المخبورة فى أنواع العلوم ويؤكد الصفدى ذلك فيقول

... وبيعت كتبه فى سنين وكانت تزيد على أربعة آلاف مجلدة[(٢)] ."

أما الشيخ السبكى "فيذكر أنه قد أجتمع له من الكتب شئ كثير وأنه سكن بغداد ثم سافر الى الشام ثم الى مصر وأقام بها مدة ، ثم عاد الى بغداد وهو يحصل فى ذلك الكتب وقيل : أنه حصل عليها فى مصر فى عام الغلاء المفرط ..."[(٣)] وغير ذلك من خزائن الكتب الخاصة "التى يندر أن نجد أحد من العلماء وخلال العصر السلجوقى الا وله خزانة كتب خاصه[(٤)] "

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية جـ١٢ ص٣١٦ .

(٢) مريزن عسيرى الحياه العلميه فى العراق فى العصر السلجوقى ص ٢٠١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٠١ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠٠ .

خامسا المارستان* :

واهتم العباسيون بنشر العلوم الطبية ، فأسسوا المدارس الطبية والمستشفيات ودعوا الى عقد المؤتمرات الطبية التي يجتمع فيها الأطباء من كافة البلاد في موسم الحج ، حيث يعرضون نتائج أبحاثهم كما يعرضون نباتات البلاد الاسلامية ويصفون خواصها الطبية . وقد أصبحت بغداد في الشرق وقرطبة في الغرب من أهم مراكز الثقافة الطبية الاسلامية . واقتبس المسلمون فكرة المارستان عن السريان الذين تفوقوا في مهنة الطب في العصر العباسي وقد وضع بعض الخلفاء والسلاطين والأمراء في المساجد خزائن للأدوية والأشربة وعينوا لها الأطباء لإسعاف المصلين وبنو المرستان للمرض وأباحوها للناس من غير تمييز في الأديان والمذاهب . وقدموا لهم العلاج والطعام بدون مقابل .(١)

ازدهار العلوم :

زادت العلوم الدنيوية فى الدولة العباسيه فترجمت العلوم التجريبية اليونانية بجميع فروعها من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء ونجوم ورياضة ، وترجمت الرياضة الهندية والتنجيم الهندي وترجم تاريخ الأمم من فرس ويونان ورومان وغيرهم ، وعرضت الالهيات اليونانية الى جانب الديانات الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها .

---

* موضع العلاج ومنه رجل مرسي شديد العلاج بن منظور لسان العرب ج٦ ص ٢١٥ .

(١) حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٢٦ .

فأصبح أصحاب الديانات يتجادلون في أديانهم ويقفون مواقف الهجوم والدفاع كل ذلك سبب حالة عقلية جديدة ـ فأهل الديانات الأخرى انما يدعون الى دينهم بالعقل والمنطق ، ويرد عليهم بالعقل والمنطق ، فكان طبيعيا أن يفعل المسلمون ذلك حينما يدعون الى الاسلام وقد كانت الدعوة الاسلامية في عصورها الأولى أكثر ما تعتمد على الأسلوب الفطري من لفت الى الكون وآثاره ودلالة ذلك على موجدها وذلك بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ولكن أصحاب تلك الديانات يحتاجون الى أدلة عقلية مؤسسة على منطق أرسطو ، فيها مقدمة صغرى وكبرى ، مستوفيتان للشروط ، وفيها نتيجة كذلك " فتحولت الدعوة الدينية الى علم الكلام ، وتأثر تفسير القرآن وتفسير الحديث والتشريع بهذا الأثر الفلسفي ، ورأينا العلماء يجتهدون في شرح كل مايعرض لهم من ذلك بعلل عقلية وعبارات منطقية واذا كان هذا في العلوم الدينية فالأمر في العلوم الدنيوية أشد وضوحا ، فالطب والرياضة والهيئة وغيرها اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال العلماء وبراهين المنطق . وهذه ـ على العموم ـ ظاهرة جديدة في العصر العباسي وان كانت نتيجة طبيعية لحياة الناس وسيرهم العقلي ."[1]

وكانت نواة العلم قبل الدولة العباسية القرآن والحديث فكل مسائل العلم تقريبا تدور حول هذه النواة ، منها تستنبط الأحكام ولأجلها يروى الشعر ، وبسببها تبحث مسائل النحو وعلى الجملة فالحركة العلمية كلها دينية الا القليل .

---

(١) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٩ .

" أما في العصر العباسي فقد ظلت هذه النواة باقية ، وان اتخذت البحوث حولها شكلا آخر - ولكن وجدت بجانب هذه النواة نواة أخرى تجمعت حولها العلوم الدنيوية وهي نواة الطب وحول هذه الدراسة الطبية تكونت دراسة الطبيعة والكيمياء والهيئة "[1] وغيرها .

وتدعبر ابن خلدون عن هذين النوعين تعبيرا صادقا اذ قال : " ان العلوم صنفان صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره ، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه ، والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها ، حتى يقفه نظره ويحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو انسان ذو فكر ، والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول "[2].

كما لاحظ كذلك ملاحظة دقيقة وهي أن العلوم العقلية أو الطبيعية مشتركة بين الأمم ، لابد أن يهتدى الانسان اليها بطبيعة فكره " واما العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية وأهلها "[3].

---

(١) أحمد أمين ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٢ .

(٢) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ط ٥ ، (بيروت : دار القلم ، ١٩٨٤م) ، ص ٤٣٥ .

(٣) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .

وقد شمل التأليف كل فروع المعرفة وعد المؤلفون والمؤلفات بالمئات ، وأن استعراض ما ألف فى ذلك يقفنا موقف الدهشة والاستغراب من كثرت المؤلفات وليست المسألة كمية عدد المؤلفات فحسب ،بل الفرق كبير أيضا فى كيفية معالجة الموضوعات وسبب ذلك الرقي الطبيعي في العلم ، وان كان كل خطوة تسلم للتي تليها وان الخلفاء والسلاطين والوزراء في الدولة العباسية كانوا أكثر اتصالا بالعلماء وتشجيعا للعلم .(١)

ونظرا لرقي الحضارة ، ولتعدد فروع العلم والمعرفة في المجتمع الاسلامي كان لابد من التخصص حيث يتعذر على الطالب اتقان جميع فروع الثقافة فينبغي عليه أن يتخصص في فرع أو أكثر من فروع العلم فظهر الفقهاء والمفسرون، والمتكلمون، والمحدثون، والنحويون، وكان الفلاسفة من المحدثون الخاصة الذين لهم أماكن فى قصور الأمراء والوزراء تقرب من مجالسهم".(٢)

وقد أخذ المسلمون بحظ وافر من العلوم على اختلاف فروعها وميز كتابهم بين العلوم الدينية التي تتصل بالقرآن الكريم والعلوم العقلية التي أخذها العرب عن غيرهم من الأمم كالفلك والطب والفلسفة.

ومع أن الحياة العلمية كانت نشيطة – كما مر ذكره – فان هذه الحياة اتسمت بالاضطراب – خاصة في الميادين العقائدية – والسبب في ذلك يعود الى

---

(١) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٢) عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في القرون الوسطى ، (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٦٤م) ، ص ٨٥ .

العوامل التاليـــــه :

أ ـ ظهـــور التقليد المذهبى وركود الفكر السنـــي :

لم يكن فى استطاعة مدارس السنة مواجهة المشكلة في نهاية القرن الرابـــع الهجـــرى وهى حاجتهـــا الى بلورة ميادين التربيـــة مما آدى الـــــى انعكاس فى تأثير العلاقات بين المذاهب الفكرية ، ويتضح من ذلـــك الـــــى وجود التعصـــب بين تلك المذاهب بين بعضهـــا البعض وعدم وجـــود التسامـــــح فبدأ كل فريق يحاول الايقاع بالفريق الآخـــر نتيجة لذلك التعصب وهذا يتضـــح من خلال نظرتنـــا فى التاريخ ، ففى عام ٤٤٥ قام أصحـــاب مذهب الأحنـــــاف الى التأثير على طغرلبك السلجوقى وحثه على تتبع أهـــل الفتن واضطهادهـــم الأمر الذى بدأ جليا على الأشاعـــره الذين نالتهم تلك الفتنة وذلك الاضطهـــاد ويخبرنـا السبكى آن هذه الفتنة لم تكن محددة بمكان معين فقد وصلت آ ثارهـــا الى الشام والعراق والحجاز ، فتم هجـــر الجوينى امام الحرمين والقيـــــام باضطهاد القشيرى والفراتى ،

وبرز دور الأشاعرة فى هذا المجال الذين قاموا بالرد على خصومهـــــــــم من خلال رسائل (شكاية أهل السنه) والتى قام بكتابتها القشيـــــــرى وانعكس التأثير أيضا الى فتور العلاقة بين الحنابلة والأشاعـــرة طوال القـــرن الخامس والقرون التى تلتـــه ،(١)

انظـــر
(١) ماجد عرسان الكيلانى / تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلاميه ص ١٣٣ ـ ١٣٦ ،

ب ـ تحديات الاسماعيلية :

قام دعاة مذهب الاسماعيلية على مدى قرن من الزمان بالدعوة لمذهبهم فى كل من الشام والجزيرة العربية والعراق وفارس وذلك بعون وتدعيم من الدولة الفاطمية وأدى ذلك الى القضاء على العباسيين ، واستمالة بعض امرائهم وولاتهم .

ولم تقف هذه الدعوة عند تلك المدن ، فقط بل استمر نشاطها ليشمل الأنبار والكوفه والمدائن فهؤلاء ملوك البويهيين وأمراؤهم وقادتهم ببغداد ينضمون الى هذه الدعوة التى وصلت الى بغداد نفسها .

وكانت هذه الدعوة تنشط وتتزايد فى النشاط حتى شملت حركة البساسيرى والذى يعد من أكبر قادة بنى بويه ونشط فى تمرده وعصيانه حيث خرج على أمراء بنى العباس عام ٤٥٠ .

ولعل قوة هذه الدعوة وتحديها للآخرين ظهر واضحا وجليا من خلال النظر الى تعاليمهم التى تنظر الى القرآن الكريم بأن نصوصه لها ظاهر وباطن وهذه التعاليم تخرج من العقيدة الاسلاميه وتوّدى فى جوهرها الى الشرك وتأليه البشر . كما أن تعاليمهم أشارت الى أن النظرية التربويه لا بد وأن تسير مع تعاليمهم حيث يرون أن الامام هو مصدر العلم وهو المعلم الذى يرون له مواصفات معينة منطلقة من تعاليمهم .

فذلك المعلم لا بد أن يسلم بما يقرره من العلوم والأفكار ولهم فى ذلك تعليل يشير بأن فى العالم حق وباطل فالحق فى نظرهم علامته الوحده والباطل فى نظرهم أيضا علامته الكثره .(1)

---

(١) ماجد عرسان الكيلانى ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

جـ - تولي الدولة العباسية الاشراف وتبنيها مذهب الأشاعرة :

استعمل السلاجقة السلاح التربوي لمجابهة الخطر الاسماعيلي في ميدان العقيدة والفكر وكان عليهم أن يتحالفوا مع مذهب أهل السنة ، وأن يختاروا من هذه المذاهب من يستطيع قيادة المعركة الفكرية والاشراف على مؤسسات التعليم ، ولم يكن هناك من يفوق الأشاعرة في تلك المهمة فقد كشفت الحياة الفكرية عن حيوية الأشاعرة وأظهرت أهليتهم بما ألفوه من رسائل وما كتبوه من كتب ، فاستطاعوا أن يكسبوا الى جانبهم قيادة السلاجقة وخاصة الوزير الشهير نظام الملك الذي بنى لهم المدارس في أقطار الخلافة العباسية خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وأوقف عليها ما تحتاجه في جميع ميادين العلم ، وكان أشهر هذه المدارس نظامية بغداد التي افتتحها عام ٤٥٩ هـ . كذلك سلم الأشاعرة مركز التوجيه وأقام لهم مجالس المناظرات فكان لذلك أثره في شحذ عقولهم لبلورة مفهوم تربوي يغطي الحاجة القائمة.(١)

(١) ماجد عرسان الكيلاني ، المرجع السابق ، ص ١٣٩.

الفصل الثاني

* سيرة الراغب الأصفهاني *

-x-x-

١ - نشأته .

٢ - مؤلفاته .

٣ - منهجه في التأليف .

٤ - مصادر ثقافته .

٥ - مكانته بين علماء عصره .

١ - نشأتـه الأولـــى :

تحدثت بعض المصادر عن المكان والزمان الذي عاش فيه الراغب الأصفهاني ولم تشر المصادر الى وقت مولده ولم تتحدث عنه كتب التراجم والطبقات،لذا فقد مني بتجاهل منذ أيام عصره فلم يصلنا ما يدل على ولادته ونشأتـــــه وشيوخه وأخباره [١] لهذا لا نعرف كثيرا عن نشأته الأولى وتربيته وأحـــداث حياته [٢] فمثلا ذكر صاحب كتاب بغية الوعاة [٣] ومفتاح السعادة [٤] أنه عاش فـــي أوائل المائة الخامسة وأشار الزركلي [٥] والخوانساري [٦] وكارل بروكلمان [٧] أنه توفي سنة (٥٠٢هـ) وفي كتاب كشف الظنون [٨] أنه توفــى في راس المائة الخامسة وورد في كتاب آداب اللغة [٩] والذريعة [١٠] وسفينة البحار [١١] أنه توفى بعد المائة الخامسة .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، مجمع البلاغة ، تحقيق عمر عبدالرحمن الساريســـي، ج ١ ، ط ١،(عمان : مكتبة الأقصى ، ١٩٨٦م) ، ص ٢٩ .

(٢) عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ، ط (بدون)، (بيروت :دار العلـم للملايين ، ١٩٧٢م) ص ٢١٤ .

(٣) جلال الدين السيوطي ، بغية الوعاة ، ج ٢ ، ط ١ ،(مطبعي عيسى البنــــا وشركاه ، بلاتاريخ) ، ص ٢٩٧.

(٤) طاش كبرى زاده، مفتاح السعاده ، ج١ ،ط١، (حيدرأباد دكن الهند: دار المعارف النظامية ، بلا تاريخ) ، ص ١٨٣.

(٥) الزركلـي ، الأعـــلام ، ج٢ ، ط (بدون) ، (القاهرة: مطبعة كوستاتوماسي وشركاه ، ١٩٥٤م) ، ص ٢٥٥ .

(٦) الخوانساري ، روضات الجنان ، ج ٣ ، ط (بدون)، (طهران : مكتبـــــة اسماعيليان ، بلا تاريخ) ، ص ٢٤٩.

(٧) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج٥، ط٢،(دارالمعارف ، بلاتاريخ) ص ٢٠٩.

(٨) حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ١ ، ط ١(بيروت: مكتبة المثنى ، بلا تاريخ) ، ص ٤٦٢.

(٩) آداب اللغة نقلا عن الزركلي ، الأعلام ، ج٢،ط(بدون)مصدر سابق ، ص ٢٢٥.

(١٠) الذريعة نقل عن الزركلـــــي ، الأعلام ، ج٢،ط(بدون)مصدر سابق ، ص ٢٢٥.

(١١) سفينة البحار نقلا عن الزركلي، الأعلام ، ج٢،ط(بدون)مصدر سابق ، ص ٢٢٥.

وفي فهرس الخزانة التيمورية[(١)] المتوفى سنة (٥٠٣ هـ) كما حققه بعض المستشرقين وفي مجلة المجمع الغلمي العربي[(٢)] المتوفي سنة (٥٤٢ هـ) وفي كتاب تاريخ أخبار البشر[(٣)] يجعل وفاته سنة (٥٦٥ هـ) وقد أشار عمر فروخفي كتابه تاريخ الأدب العربي[(٤)] بأن المؤرخون قد اختلفوا في سنةوفاته والأرجح أن تكون (٥٠٢ هـ) أو (٥٠٣ هـ) (١١٠٩م) ، أما الدكتور عبدالرحمن الساريسي محقق كتاب مجمع البلاغة لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني فقد ذكر"أنه قد حدث اضطراب كبير في وفاته ، كان فيه بعض المؤرخين القلة الذين تعرضوا له بايجاز يذكرون أنه قد عاش الى أوائل المائة الخامسة للهجرة والبعض الآخر يحدد هذا التاريخ بعام (٥٠٢)للهجرة ولكننا استطعنا ، في البحث عن حياته والمصاحب لهذا التحقيق ، أن نرجح الرأي الأول ، ونصل من خلال الدراسة والبحث في آثاره ، الى أنه من كتاب عصر الصاحب بن عباد ، وانه كان يقدم بعض مصنفاته للوزير أبي العباس الضبي الذي خلف الصاحب في الوزارة لفخر الدولة البويهي"[(٥)] "ولعل المخاطب في قول الأصفهاني في مقدمة كتابه مجمع البلاغة (ولما رأيتك ، حرس الله جميل الفضل مائلا الى الألفاظ المونقة والمعاني الغضة المورقة) هو الوزير

---

(١) أحمد تيمور باشا ، فهرس الخزانة التمورية ، ج ٣ ، ط (بدون) ، (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٤٨م) ، ص ١٠٨٠

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، مطبعة الترقي ، العدد ٢٤ ، ربيع الأول ، ١٣٦٨ هـ ، ١٩٤٩م) ، ص ٢٧٥٠

(٣) تاريخ أخبار البشر نقلا عن كارل بركلمان ، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق ، ص ٢٠٩ ٠

(٤) عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، مصدر سابق ، ص ٢١٤ ٠

(٥) الراغب الأصفهاني ، مجمع البلاغة ، ص ٢٩ ٠

أحمد بن ابراهيم أبو العباس الضبي الملقب بالكافي الأوحد وزير فخر الدولة البويهي بعد وفاة الصاحب بن عباد المتوفى عام ٣٩٩هـ ، وقد ذكر في معجم الأدباء ٢ / ١٠٥ وذيل تجارب الأمم (٢٦١) (١) .

وكما اختلف المؤرخون في وفاته اختلفوا في اسمه ولقبه فقيل أنه "الحسين بن محمد بن المفضل" وانفرد السيوطي في كتابه بغية الوعاة (٢) بتسميته " المفضل بن محمد " وفي فهرس الخزانة التيمورية (٣) " الحسين بن المفضل بن محمد" وفي مفتاح السعادة (٤) "المفضل بن محمد" وكذلك اختلف في لقبه فهل هو الراغب الأصفهاني أم الراغب الأصبهاني فكلا اللقبين الأصفهاني - والأصبهاني يطلق على "الحسين بن محمد بن المفضل" نسبة الى أصبهان أو أصفهان من بلاد فارس ومع اختلاف عنوان كتبه واختلاف الناشرين لها وتحقيقها أو عدم تحقيقها نجد المراوحة بين الاستخدامين (٥) . ولكن المشهور أنه الأصبهاني

أما كنيته فهو (أبو القاسم) وتطلق الكنية عادة للتعظيم من شأن الرجل .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، مجمع البلاغة ، ص ٣٦ .
(٢) جلال الدين السيوطي ، بغية الوعاة ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .
(٣) أحمد تيمور باشا ، الخزانة التمورية ، ج٣ ، ص ١٠٨ .
(٤) طاى كبدي زاده ، مفتاح السعادة ، ج ١ ، ص ١٨٣ .
(٥) حسان محمد حسان ، نادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية دراسة نظرية تطبيقية ، ج ١ ،(القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م) ، ص ٢٢٩ .

٢ ـ مؤلفاته ومنهجه في التأليف :

خلف الراغب الأصفهاني اثرا فكريا بعد وفاته منه ماهو مطبوع ومنه ماهو مخطوط واليك بيان ذلك فيما يلى من السطور :

أ ـ المطبوع من مؤلفاته :

١ ـ الذريعة الى مكارم الشريعة ، والكتاب كما يتضح من عنوانه يعرض للوسيلة الموصلة الى مكارم الشريعة ، وهو كتاب في الأخلاق ، يقال ان الغزالي كان يحمله دائما معه لنفاسته طبع طبعات متعدده منها طبعة القاهرة ، مطبعة الوطن ، ١٢٩٩ هـ ـ والقاهرة ١٣٢٩هـ ، كما طبع في بيروت بدار الكتب العلمية ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م)٠

٢ ـ المفردات في غريب القرآن ، وهو معجم مرتب بحسب الحرف الأول لألفاظ القرآن الكريم مع ذكر الروايات والأشعار وهو معجم نافع جدا نشره الزهري الغمراوي ، القاهرة ، المطبعة الميمنية ، سنة ١٣٢٤ هـ على هامش النهاية ، في غريب الحديث والأثر ، كما طبع عام ١٩٦١م ، في بيروت دار المعرفة تحقيق محمد سيد كيلاني ٠

٣ ـ تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، وهو كتاب يتضمن أحوال الدنيا والآخرة ، طبع بالقاهرة ، بلاتاريخ ونشره محمد طاهر الجزائري ، بيروت ، ١٣١٩ ـ ١٣٢٣ هـ ، ثم (نشره جواد شير) صيدا عام ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦م)٠ (١)

---

(١) يراجع كتاب كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٥ ، ص ٢١١ ، كما يراجع عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ، ص ٢١٦ ٠

٤ - مقدمة التفسير ، طبع في القاهرة ، سنة ١٣٢٩هـ في أخر تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار [١] .

٥ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء [٢] ، وهو مختارات لغوية وأدبية وتاريخية طبع طبعات متعددة منها طبعة القاهرة - المعارف المصرية ، ١٢٨٧ هـ ، ١٩٠٢م ، وهذبه واختصره ابراهيم زيدان (القاهرة : مطبعة الهلال ، ١٩٠٢م) ، و(القاهرة ، المطبعة الشرقية ، ١٣٢٦هـ) ، و (بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١م).

٦ - كتاب مجمع البلاغة ، ان الكتب القليلة التي ذكرت الراغب الأصفهاني لم تذكر اسم هذا الكتاب ، من بين مصنفاته ، وأعني من كتب المحدثين مثل موسوعة بروكلمان في آداب العربية وعلومها والاعلام للزركلي " ومعجم المؤلفين " لعمر رضا كحاله .

وهذا الكتاب يحتوي على مختارات في اللغة والأدب والشعر والأقوال والامثال تدور حول موضوعات ثقافية وأدبية وحول معارف الناس في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وما يمكن أن يكون وصفا لبعض مظاهر حياتهم الاجتماعية ، وتلتقي مع كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الا أننا نجد أن العناية بمفردات اللغة وتراكيبها وشرحها بتبحر واضحا في كتاب مجمع البلاغة أكثر من

---

(١) كتاب بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، جـ ٥ ، ص ٢١١ .
(٢) يراجع كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، جـ ٥ ، ص ٢١٠ ، وكتاب فمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، جـ ٣ ، ص ٢١٦ .

كتاب محاضرات الأدباء للمؤلف نفسه[(١)] .

وطبع هذا الكتاب في جزئين بعنوان مجمع البلاغة : مختارات أدبية وفكرية ولغوية وأخبار ونوادر تحقيق عمر عبدالرحمن الساريسي (عمان : مكتبة الأقصى ، ١٩٨٦م) .

ب ـ المخطوط من مؤلفاته :

١ ـ كتاب الأخلاق : مخطوط برلين ١٣٩٢ هـ[(٢)] برقم ٥٣٩٢ ، وقد سماه مؤلف كشف الظنون ، أخلاق الراغب[(٣)] .

٢ ـ تحقيق البيان : وهو كتاب في الأدب مخطوط بمشهد برقم ٢٤/١ ، ٥٦[(٤)] ، ذكره السيوطي في بغية الوعاه[(٥)] وذكرته مجلة المجمع العربي ونسبته اليه[(٦)] . كما ذكره صاحب كتاب الأعلام ووصفه بأنه كتاب في اللغة والحكمة[(٧)]

٣ ـ درة التأويل : وهو عن الآيات المكررة في مواضع كثيرة من القرآن بألفاظ مختلفة ، المتحف البريطاني ، برقم ٥٧٨٤[(٨)] .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، مجمع البلاغة ، ج ١ ، من ص ٥ ـ ١٨ .
(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٥ ، ص ٢١١ .
(٣) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٣٦ .
(٤) كارل بوركلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٥ ، ص ٢١١ .
(٥) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .
(٦) مجلة المجمع العربي ، ج ١ ، العدد ٢٤ ، (دمشق : المجمع العربي ، مطبعة الترقي، ١٩٤٩م) ، ص ٢٧٥ .
(٧) الزركلي ، الأعلام ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .
(٨) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٥ ، ص ٢١١ .

٤ ـ حـل متشابهات القرآن : راغب باشا ، برقم (١٨٠)٠

٥ ـ تفسير القـرآن : آيا صوفيـا ، برقم (٢١٢)(١)

٦ ـ أدب الشطرنج : قازان : انظر IsI - X V I I 4 (٢)

٧ ـ رسالة منبـهـة عن فوائد القرآن : ذكرها في أول (مفردات القرآن)٠(٣)

٨ ـ أفانيـن البلاغة : ذكره الزركلي في الأعلام(٤) ـ والسيوطي في بغيـة الوعـاة(٥) ، وذكره طاش كبرى زاده في كتاب مفتاح السعادة ٠

٩ ـ فنـون المحاضـره : ذكره صاحب كتاب مفتاح السعادة٠(٦)

١٠ـ غـرة التنزيـل : ذكره البيهقي في كتابه تاريخ حكماء الاسلام٠

١١ـ كلمات الصحابه : ذكره البيهقي في كتابه تاريخ حكماء الاسلام٠(٧)

١٢ـ وكتاب في الاعتقاد : ذكره الزركلي في الأعـلام(٨) والدكتور طه عبدالرؤوف سعد في مقدمة كتاب الذريعة الى مكارم الشريعة٠(٩)

---

(١) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٥ ، ص ٢١٠ ٠

(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٥ ، ص ٢١١ ٠

(٣) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ٠

(٤) الزركلي ، الأعـلام ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ ٠

(٥) السيوطي ، بغيـة الوعاة ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ ٠

(٦) طاش كبرى زاده ، مفتاح السعاده ، ج ١ ، ص ١٨٣ ٠

(٧) البيهقي ، تاريخ حكماء الاسلام ، ج ٢ ، (دمشق ، مطبقة المقيدالجديـدة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م) ، ص ١١٢ ٠

(٨) الزركلـي ، الأعـلام ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ ٠

(٩) الراغب الأصفهاني ، الذريعـة الى مكارم الشريعـة ، راجعه وقدم لـه عبد الرؤوف سعد ، ط ١ (القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م) ، ص (و) فى مقدمة الكتاب ٠

وبذلك تكون مؤلفات الراغب الأصفهانى التى استطعت التوصل اليها سبعة عشر مؤلفا ، منها المطبوع ومنها مازال مخطوطا ينتظر النشر والتحقيق وأن نظرة موضوعية لهذا الانتاج الضخم للراغب الأصفهانى توضح كيف كان ذلك العالم العربي فى عصره ولو نشرت مؤلفاته التى تنشر وحققت الى جانب المطبوع منها ودرست بعناية وتمحيص لأضافت للثقافة والتربية الشيء الكثير .

واذا كانت هذه مؤلفاته فما هو المنهج الذى ارتضاه وسار عليه فى تأليف ذلك التراث العظيم ؟

٣ - منهجه فى التأليف :

تأثر الراغب الأصفهانى بالعلوم الاسلاميه مثل التفسير والحديث والفقه وتأثر أيضا بعلم الكلام وعلوم اللغة من نحو وبلاغة وأدب وبالعلوم العقليه كعلم الفلسفة وقد حمع فى تأليفه بين الأخذ بالعقل والأخذ بالنقل حيث كان له حظا وافرا من تلك العلوم الاسلاميه والتى لم يقف عندها فقط بل تعدى ذلك الى تأثره بالعلوم العقلية كعلم الفلسفة .

ولم ينظر لتلك الفلسفة نظرة ناقل لها بل كان أبعد من ذلك نظرا حيث وعى ماتهدف اليه فقام بالاضافة لها بما يراه مناسبا لها من اسلوبه الفلسفى كما مزج تلك الفلسفة بالعلوم النقلية الاسلاميه ولم يكن ذلك مجرد خلط فلسفى وابداء آراء متخبطة بل كان مايقوله وينقله عن طريق الفهم والاحاطة والدراسة .

وقد صحب الانسان منذ ولادته فمراحل حياته حتى تحين وفاته ويتصور بعد ذلك بعثه وكتب عن الرحلة الشاقة التى يسيرها الانسان فى حياته حتى موته والمحفوفة بصراعات الشيطان ونزعات الهوى بالاضافة الى نظرته نحو الكمالات الانسانية والنظرة العميقة لأغوار النفس البشريه المتقلبة فى أحوالها الانسانيه .

كما أجاب على الأسئلة الواضحة المحددة التى تخطر على بال الانسان فى مختلف العصور والأزمان وعلى اختلاف مراتب البشر ومنزلاتهم من عامه وحكماء وأجاب بخاصه على الفلاسفة منهم عن النشأة والمصير (١) .

وكان العلماء الذين برزوا فى علم التفسير فقد كان له اليد الطولي فى التفسير والدراسات القرآنية كما برز فى النحو والأدب فقد كان من أدباء العصر السلجوقى المشهورين (٢) وان كان الأصفهانى قد اطلع على الكتابات التى ظهرت فى زمانه واستفاد منها ونقل عنها فانه لم يتوقف عند حد النقد أو الاقتباس بل عمد الى مزج مانقله بالآيات القرآنية .

---

(١) مصطفى حلمى ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ص ١٧٠ .

ونجد أن الراغب الأصفهاني يكتب في اللغة والأخلاق والأدب والتفسير والتربية وفي غيرها من فروع المعرفة بعقل ثاقب وأسلوب ممتع وأمانة علمية واستشهد بالآيات والأحاديث النبوية ، كما امتازت كتبه بالجمع الواسع البارع وبحسن الاختيار والذوق مع دقة الملاحظة وحضور النكتة.(١) ولا شك أن ذلك يكشف عن جانب من البيئة التي عاش فيها الراغب الأصفهاني.(٢)

٤ - مصادر ثقافته :

" لم تتحدث كتب التراجم والطبقات عن الراغب الأصفهاني ولم يصلنا ما يدل على ولادته وشيوخه واخباره ، والمتأمل لآثار الراغب الأصفهاني يخرج بأنه لم يكن يرغب في الاتصال المباشر بالوزراء والأمراء وكان يؤثر على ذلك القناعة والاخلاد الى الدرس والتأليف والتأمل والعبادة وانعكس ذلك على شهرته فلم يذكره مؤرخوا السياسة والوزراء وكتابهم ولكنه كما ذكرنا سابقا اتضح في غزارة آثاره وتنوع المواد التي أسهم فيها.(٣) ولعل أستاذه في ذلك الكتاب وتجربته الشخصية ، وقد تأثر بثقافة عصره وأثر فيها ، فمصادر ثقافته هي القرآن الكريم والسنة المطهرة وما ظهر في عصره من كتابات ،

---

(١) عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ، ص ٢١٤ .

(٢) عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ، ص ٢١٥ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، مجمع البلاغة ، ج ١ ، ص ٢٩ .

" فكشف عن عقل حكيم مسلم مزج بين العقل والنقل لمقاومة تيار الغزو الثقافي الأجنبي لتطويع هذه الثقافة للتصورات الاسلامية "[٢] .

٥ - مكانته بين علماء عصره :

ان الراغب الأصفهاني من المفكرين المسلمين الذين أكدوا علو مكانتهم العقلية وجهودهم البناءة في عالم الفكر الاسلامي ،" ولكنهم لم يلقوا العناية الجديرة بهم بسبب الانحصار في دائرة بعض فلاسفة المسلمين التقليديين الذين كثر الاهتمام بهم ، وتشعبت حولهم الدراسات والأبحاث أمثال : الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم فأشبعتهم الدراسات بحثا حتى راجت أفكارهم واشتهرت أسماؤهم على حساب عدد آخر من حكماء الاسلام"[٣] .

ووصف الراغب أنه من " حكماء الاسلام وهو الذي جمع بين الشريعة والحكمة في تصنيفاته"[٤] "واشتهر حتى كان يقرن بالامام الغزالي"[٥] ووصفه السيوطي بقوله

---

(١) حسان محمد حسان ، نادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية ، ص ٢٣٤ .
(٢) مصطفى حلمي ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ص ١٦٨ .
(٣) مصطفى حلمي ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .
(٤) ظهير الدين البيهقي ، تاريخ حكماء الاسلام ، ج ٢ ، (دمشق ، مطبعة المقيد الجديدة ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م) ، ص ١١٣ .
(٥) خير الدين الزركلي ، الاعلام ، مصدر سابق ، ص ٢٥٥ .

" صاحب المصنفات كان في أوائل المائة الخامسة له مفردات القرآن وأفانين البلاغة والمحاضرات وقفت على الثلاثة وقد كان في ظني أن الراغب معتزلي حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من القواعد الصغرى لابن عبد السلام ما نصه (ذكر الامام فخر الدين الرازي في تأسيس التقديسي في الأصول أن أبا القاسم الراغب من أئمة السنة) "[١] ، كما وصف أنه "صاحب اللغة العربية والحديث والشعر والكتابة والأخلاق والحكمة والكلام وعلوم الأوائل وغير ذلك ، فضله أشهر من أن يوصف ووصفه أرفع من أن يعرف ، وكفاه منقبة أن له قبول العامة والخاصة وفيما تحقق له من اللغة خاصة ، فهو أحد أعلام العلم بغير فن من العلوم أديبها وحكيمها"[٢] وفي فهرس الخزانة التيمورية "العلامة الحسين بن المفضل بن محمد الأصفهاني الملقب بالراغب الامام المفسر اللغوي"[٣] وذكره صاحب كتاب تاريخ الأدب بأنه "حكيم وأديب واسع الاطلاع حسن التصنيف"[٤].

مما سبق يتضح أن الراغب الأصفهاني كان شخصية لها احترامها ، لكنه مني بتجاهل منذ أيام عصره ولم يصل الينا مايدل على ولادته ونشأته

---

(١) السيوطي ، بغية الدعاة ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .
(٢) الخوانساري ، روضات الجنان ، ج ٣ ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .
(٣) أحمد تيمور باشا ، فهرس الخزانة التيمورية ، ج ٣ ، ص ١٠٨ .
(٤) عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ، ص ١٠٤ .

وشيوخه وأخباره الا الشيء اليسير ولكنه فى نفس الوقت اتضح فى غزارة آثاره وتنوع المواد التى أسهم فيها "وكانت له مشاركة فى العقائد والفكر الدينى وفى الأخلاق والتربية وعلم التفسير "[١] ومع ذلك كله لم يلق الأصفهانى عناية من البحث كما لقيه غيره من المفكرين المسلمين ، وقد آليت على نفسى أن أسهم بجهدى المحدود والله المستعان .

---

(١) الراغب الأصفهانى ، مجمع البلاغة ج ١ ص ٢٩ .

* الفصل الثالث : (مفهوم التربيه عند الراغب الأصفهاني)

١ - معنى التربيه عند الراغب الأصفهاني .

٢ - غاية التربيه وأهدافها عند الراغب الأصفهاني .

٣ - وسائل التربيه عند الراغب الأصفهاني .

١ ـ معنى التربية عند الراغب الأصفهاني :

عرض الأصفهاني للمعنى اللغوي للتربية وردها الى الفعل الثلاثي (ربّ) وأصل الرب التربية وهو انشاء الشيء حالا فحالا الى حد التمام [١] ،"فتربية الناشيء على هذا الأصل هي العمل على ايصال الناشيء الى كماله شيئا فشيئا" [٢]

وقد ذهب بعض علماء التربية الاسلامية على أنه" ليس الغرض من التربية والتعليم حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات ، وتعليمهم من الموادالدراسية مالم يعلموا ، بل الغرض أن تهذب أخلاقهم وتربى أرواحهم وتبث فيهم الفضيلة وتعودهم الآداب السامية وتعدهم لحياة كلها اخلاص وطهارة." [٣]

وايصال الناشيء الى كماله شيئا فشيئا يوازي ماجاء في كتب التربية الحديثة من تعاريف ويوجه الى النمو نحو الأكمل ، والأفضل ويشمل معنى التطور ولكنه يجعله تطورا نحو الأكمل . [٤]

ومبدأ التطور مستمد من طبيعة الاسلام . ذلك أن تعاليم الاسلام عامة صالحة لكل زمان ومكان ، وتتمسك فقط بالأصول الكبيرة كالايمان ، واقامة

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ط (بدون)تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ،(بيروت:دار الفرقة للطباعة والنشر،(بلا تاريخ)ص ١٦٤

(٢) بشير حاج التوم ، ماهى فلسفته ص ١٦

(٣) محمد عطية الأبراسي ، التربية الاسلامية وفلاسفتها ، ج ٣ ، (احياء الكتب العربية ، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥م) ، ص ٢٢ .

(٤) بشير حاج التوم : ماهي فلسفة التربية ، ط ١ ،(مكةالمكرمة : مكتبة الوطن ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٢م) ص ١٦

الصلاة ، وإتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا ." [1]

٢ - غاية التربية وأهدافها عند الأصفهاني :

ان مفهوم التربية عند الراغب الأصفهاني يتفق مع غاية التربية الأسلامية التى تهدف الى تنشئة وتكوين انسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الصحية والعقلية والأعتقادية والروحية والأخلاقية والأبداعية فى جميع مراحل نموه فى ضوء المبادئ والقيم التى آتى بها الأسلام وفى ضوء أساليب وطرق التربية التى بينها. [2]

فالغاية للأنسان عنده ينبغى أن تكون دار السلام ويحتاج فى سفره الى التزود للسفر وهو فى كدح وكبد مالم ينته الى دار القرار [3] " تفصيل النشآنية ص٥٩ كما قال تعالى :

﴿ياأيها الأنسان أنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه﴾ [4] " وله فى سفره

---

(١) أحمد فؤاد الأهوانى ، التربيه فى الاسلام طبعه ; بدون) (القاهره دار المعارف بلا تاريخ ص ١٧ .

(٢) مقداد يالجن ، جوانب التربية الأسلامية ، جا ، ط ١ ، (لبنان: دار الريحانى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م) ، ص ٣٠١ .

(٣) الراغب الأصفهانى فى تفصيل النشآنية ص ٥٩ .

(٤) سورة الأنشقاق ، آية (٦) .

أربعة منازل ظهر أبيه ، وبطن أمه ، وظهر الأرض ، والموقف . وله حالتان : حالة هو فيها مستودع وهو مادام في هذه المنازل وحالة هو فيها مستقر وهو اذا حصل في دار القرار" (١) والى ذلك أشار الله تعالى بقوله :﴿ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ﴾ .

فالأصفهاني يرى أن غاية التربية وأهدافها التقرب الى الله ،وأن الدنيا كلها فانية ولابقاء لها ، وان الموت يقطع نعيمها ، وانها دار ممر لا دار مقر ، وان الآخرة هي دار المقر لا دار ممر . وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة ، حتى تعظم درجته عند الله ، وان المنزل الذي يحتاج فيه الى تزود ظهر الأرض وهو مجبول على طلب الراحة لكن الناس في طلبها قسمان :

* القسم الأول :

" عموا عن الآخرة وقالوا : ﴿ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، الآية ﴾ (٣) أو فعلوا فعل من قال ذلك فطلبوا الراحة من حيث لاراحة وهم الموصوفون بقوله عز وجل : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ (٣) ، وقوله ﴿ انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض، الآية ﴾ (٤) فانهم طلبوا من الدنيا

(١) الراغب الأصفهاني المرجع السابق ص ٥٨
(٢) سورة الأنعام ، آية (٩٨).
(٣) سورة الجاثية ، آية (٢٤).
(٤) سورة النور ، آية (٣٩).
(٥) سورة يونس ، آية (٢٤).

ما ليس في طبيعتها ولا موجودا فيها ولها . وما أحسن قول الشاعر :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ∴ ماليس يبلغه في نفسه الزمن

وقال آخر :

مضى قبلنا قوم رجو أن يقوموا ∴ بلا تعب عيشا فلم يتقوم "[(١)]

* القسم الثاني :

عرفوا الدنيا والآخرة وعلموا أن الدنيا كما قال الله تعالى :

* ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين *[(٢)] وقوله * وان الدار الآخرة لهي الحيوان *[(٣)] وعلموا أن فيها الانسان يستقر ويطمئن كما قال تعالى:

* يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية *[(٤)] فاحتملوا المشقة علما أن كل تعب يؤديهم الى راحة فسعدوا كما قال تعالى: * فأما الذين سعدوا ففي الجنة ، الآية *[(٥)] . وطلب العلم عند الأصفهاني كغاية وكوسيلة فهو غاية في ذاته ووسيلة الى الدار الآخرة فحق المتعلم "أن يجعل العلوم كزاد موضوع في منازل السفر "[(٦)] .

والعلم أشرف المهن التي يستطيع الانسان أن يتخذها حرفة له.

---

(١) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ص ٥٨ – ٥٩ .
(٢) سورة الأعراف ، آية (٢٤).
(٣) سورة العنكبوت ، آية (٦٤).
(٤) سورة الفجر ، آية (٢٨).
(٥) سورة هود ، آية (١٠٨).
(٦) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٦ .

" وقد جعل للانسان حرثين مفيدين لزادين أحدهما : روحاني كالمعارف والحكم والعبادات والأخلاق الحميدة وثمرته الحياة الأبدية والغنى الدائم والاستكثار منه محمود ولا يكاد يطلبه الا من قد عرفه وعرف منفعته . الثاني : جسماني كالمال والأثاث وفي الجملة ما قد نبه الله تعالى عليه بقوله : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ (١) وثمرته أن تحصل به الحياة الدنيوية الفانية ولا ينتفع منه بشيء الا بقدر ما استعان به في الوصول الى الزاد الأخروي" (٢) كما نبه الله تعالى عليه بقوله : ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع ﴾ (٣) "ولا يولع بالركون اليها الا من جهل حقائقها ومنافعها والاستكثار منه ليس بمذموم مالم يكن مثبطا لصاحبه عن مقصده وكان متناولا على الوجه الذي يجب وكما يجب ويجعله الى الوجه الذي ينتفع به في مقصده لكن تناوله على هذا الوجه والاستكثار منه لا يأتي الا اذا كان السلطان عادلا والأمور جارية على أذلالها فيحفظ الناس معاملاتهم على مقتضى الشرع ثم يكون صاحبه اذا تناوله كما قال تعالى : ﴿ ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصه ﴾ (٤) فاذا لم يكن الأمر كما ذكرنا من الاستقامة فليس الا الاقتصاد والاقتصار والتبلغ بما أمكن حتى ينقضي السفر . والموفق في الدنيا اذا رأى نفسه قاصرة عن الجمع بين الأمرين اهتم بما يبقى وأقل العناية بما يفنى وآثرا لآخره على

(١) سورة آل عمران ، آية (١٤) .
(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين ص ٦٠ ـ ٦١
(٣) سورة الرعد ، آية (٢٦).
(٤) سورة الحشر ، آية (٩).

الدنيا فلا يلتفت الا بقدر ما يتبلغ به الى الآخرة مراعيا فيه حكم الشرع ومحافظا لقول الله عز وجل : ﴿ يا أيها الناس ان وعدالله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ﴾ (١) ومعرفة ذلك والوصول اليه لايمكن الا أن يستضيء العقل بنور الشرع معتمدا على من له الخلق والأمر" (٢).

فالأصفهاني فيما سبق يقرر أن الانسان في سعيه يحتاج الى خمسة وسائل :

١ ـ معرفة المعبود .

٢ ـ معرفة الطريق .

٣ ـ تحصيل الزاد .

٤ ـ مجاهدة النفس .

٥ ـ مجانبة الغرور .

فهو يصور لنا الانسان في حركة مستمرة لكي يتخلص من العوائق التي تحول بينه وبين الوصول الى غايته ، والانسان في حاجة الى التوبةالدائمة أثناء حركته نحو ربه فيصل الى أفضل ما في الدنيا ولا يتم ذلك الا بالعبادات المشروعة (٤) .

---

(١) سورة فاطر ، آية (٤).
(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ص ٥٨ ـ ٦٣.
(٣) سورة فاطر ، آية (٤).
(٤) مصطفى حلمي ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

فالغرض من التربية عند الأصفهانى هو تطهير النفس واحتلاب صحتها فلم يكلف الله عباده لينتفع هو تعالى بها انتفاع المولى باستعباد عبيده واستخدام خدمه فان الله غنى عن العالمين • ولا يؤدبهم فقد قال تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾(١)، بل كلفهم ليزيل أنجاسهم وأمراضهم النفسية فبذلك يمكنهم أن يحصلوا على حياة أبدية وسلامة باقية سرمدية فان من ولد يكون ميتا بالاضافة الى أصحاب الدار الآخرة وفاقدا للعين التى بها يعرفهم والسمع الذى يسمع تحاورهم واللسان الذى به يكلمونه ويكلمهم والعقل الذى به يدركهم وليست الحياة والعين والسمع هى مالانسان فى الحياة الدنيا • وكيف يكون كذلك وقد نفى الله ذلك عن الكفار وجعلهم أمواتا وصما بكما وعميا فان الانسان له قوة على تحصيل تلك الأمور وان أهمل نفسه فاتت عند تلك القوة ولا يمكنه بعد قبول ذلك وفهمه الا أن يؤمن بالقرآن الكريم ومن استمر فى كفره وفسقه وتمادى فيه صار اما ميتا أو مريضا أو أصم بمرض الكفر الذى لايقبل الشفاء ولذلك قال الله تعالى فيمن فقد هذه القوة ﴿ انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴾ وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ﴾(٢) وقال تعالى :﴿ صم بكم عمى فهم لايعقلون ﴾(٣) فالكفار كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه ولا يتعظون بالموعظة لما فى قلوبهم من المرض كما أشار تعالى بقوله :﴿ فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت ﴾(٤) وقال تعالى:﴿ انما المشركون نجس ﴾(٥) وقال تعالى فى المؤمنين ﴿ لينذر من كان حيا ﴾(٦)

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٨٥) •
(٢) سورة النمل ، آية (٨٠-٨١) •
(٣) سورة البقرة، آية (١٧١) •
(٤) سورة محمد ، آية (٢٠) •
(٥) سورة التوبه، آية (٢٩) •
(٦) سورة يس ، آية (٧٠) •

فمن استفاد الحياة والطهارة قبل أن تبطل عنه هذه القوى صار حيا سميعا بصيرا طاهرا . والانسان يحصل له من الانسانية بقدر مايحصل له من العبادة[1] . والانسان في نظر الاسلام كائن لا هو بالملاك ولا الحيوان. وان كان قادرا في بعض حالاته الهبوط أن يصبح أسوأ من الحيوان ، وبعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه الى مستوى الملائكة من الطهر. ولكنه في حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك ، مشتمل على استعداد للخير كما هو مشتمل على استعداد للشر وليس أي العنصرين غريبا على طبعه ولامفروضا عليه من خارج نفسه[2].

ويتضح الهدف الدينى للتربية الأسلامية من كلام الراغب فى دعوته للتقرب الى الله واتباع شريعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

" فالانسان يحصل له من الانسانية بقدر مايحصل له العبادة التي لأجلها خلق فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الانسانية ومن رفضها فقد انسلخ من الانسانية فصار حيوانا أو دون الحيوان ، كما قال الله في وصف الكفار ﴿ ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾[3] ، وقال : ﴿ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ﴾[4] فلم يرض أن يجعلهم

---

(١) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ص ٨٠ – ٨١.

(٢) محمد قطب ، الانسان بين المادية والاسلام ، ط ٣ ، (القاهرة : ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م) ، ص ٦٩ .

(٣) سورة الفرقان ، آية (٤٤).

(٤) سورة الأنفال ، آية (٢٢).

أنعاما ودواب حتى جعلهم أضل منها وجعلهم من أشرارها واستطرد الأصفهاني في بيان أن من لم يتخصص بالشرع وعبادة الله فليس بانسان فقال ونبه تعالى على أن الانسان لايكون انسانا الا بالدين ولا ذا بيان الا بقدرته على الاتيان بالحقائق الدينية ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ﴾ (١) فابتدأ بتعليم القرآن ثم بخلق الانسان ثم بتعليم البيان ولم يدخل الواو فيما بينهما وكان الوجه على متعارف الناس أن يقول : خلق الانسان وعلمه البيان وعلمه القرآن فان ايجاد الانسان بحسب نظرة الأصفهاني مقدم على تعليم البيان وتعليم البيان مقدم على تعليم القرآن لكن لم يعد الانسان انسانا مالم يتخصص بالقرآن ابتدأ بالقرآن ثم قال خلق الانسان تنبيها على أن بتعليم القرآن جعله انسانا على الحقيقة ثم قال: علمه البيان تنبيها على أن البيان الحقيقي المختص بالانسان يحصل بعد معرفة القرآن فنبه بهذا الترتيب المخصوص وترك حرف العطف منه وجعل كل جملة بدلا مما قبلها لا عطفا ، على أن الانسان مالم يكن عارفا برسوم العبادة ومتخصصا بها لايكون انسانا وان كلامه مالم يكن على مقتضى الشرع لا يكون بيانا. (٢)

---

(١) سورة الرحمن ، آية (١ - ٣) .

(٢) الراغب الأصفهاني ، فى تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ص ٦٩-٧٠ .

ويبدو الهدف الأخلاقى من كلام الأصفهانى فى غرس الفضائل فى نفس الانسان وفى البعد عن اللذات المحرمة والقبيحة ومحاولة الوصول الى الفضيلة عن طريق عبادة الله وتطهير النفس من الرذائل والعوارض التى تشوبها حيث يقول فى الباب الرابع والعشرين من كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين " ان الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب صحتها فلم يكلف الله الناس عبادته لينتفع هو بها ... بل كلفهم ليزيل انجاسهم وأمراضهم النفسية فبذلك يمكنهم أن يحصلوا حياة أبدية وسلامة باقية سرمدية (١) .

وتتضح السعادة الحقيقية والهدف الاسمى من التربية عند الأصفهانى فى قوله " فما أحد الا وهو فارع الى سعادة يطلبها بجهد ولكن كثيرا مايخطىء فيظن ماليس بسعادة فى ذاته أنه سعادة فيغتر بها (٢) " .

فالكافر لايشعر بسعادة فى حياته لأن عمله ليس له هدف أو غاية يسعى الى تحقيقها وقد شبه الله عز وجل عمله بالسراب الذى لايرى كما قال تعالى : ﴿ أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شىء ﴾ (٣)

والراغب الأصفهانى يشير الى أن السعادة الحقيقية تكمن فى توجيه وحسن استخدام نعم الدنيا والتى توصل الى النعم الدائمة فى جنات الخلود لأن ذلك هو الهدف من خلق الانسان وهو عبادة الله تعالى (٤) .

---

(١) الراغب الأصفهانى ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ص ٨٠ .

(٢) الراغب الأصفهانى ، المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٣) سورة ابراهيم ، آية (١٨) .

(٤) الراغب الأصفهانى ، تفصيل النشاتين ، ص ٥٤

كما جعل الله سبحانه فى تلك النعم حكما فى طريقة استخدام الناس وتناولهم وتعرفهم فيها على وجهين :-

أ - فريق من الناس يستخدم تلك النعم على الوجه الذى جعل الله لهم فاستطاعوا الانتفاع بها وهم الذين وصفهم الله عز وجل فى قوله ﴿ الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهو عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ (١) وذلك توفيق من الله لهم بتمكينهم ونصرهم على عدوهم جزاء اقامتهم الصلاة وايتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الدنيا حيث يلاقون جزاءهم يوم الرجوع فى الآخرة الى الله فهم قد عاشوا حياة طيبة فى الدنيا وذلك وعد من الله كما فى قوله تعالى : ﴿ للذين أحسنوا فى هذه الدنيا ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ﴾ (٢) .

ب - فريق آخر من الناس يستخدم النعم بعكس ما أراد الله للانسان أن يستخدمها ويجعلها طريق للآخرة فمالوا الى هذه النعم واستخدموها بغير ماسخرت لهم فتنعموا فى الدنيا وأفسدوا فيها وجعلوا تلك النعم طريقا لتحقيق شهواتهم فكانت شقاوة لهم ينالوا جزاءها اما عاجلا فى الدنيا أو آجلا فى الآخرة كما قال تعالى ﴿ انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ (٣) .

ويرى الأصفهانى انه ليس لبنى البشر تصور كنه وماهية السعادة الأخروية التى أعدها الله لعباده المتقين مادام الانسان لايزال عائشا فى دار الدنيا (٤) .

---

(١) سورة الحج ، آية (٤١) .
(٢) سورة النحل ، آية (٣٠) .
(٣) سورة التوبة ، آية (٥٥) .
(٤) الراغب الأصفهانى ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ص ٥٤ - ٥٥

وهي أعظم وأشرف نعم الله الموهوبة والمكسوبة ، وإياها قصد تعالى بقوله : ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خلدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ "[1] وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصرف . "[2]

٣ ـ وسائل التربية عند الراغب الأصفهاني :

بعد أن حدد الراغب الأصفهاني أهداف التربية ، فما الوسائل التي تؤدي الى تحقيق تلك الأهداف ؟

أ ـ الوسائل التبصيرية العقلية :

أي أن من وظائف العلم أنه يؤدي الى زيادة قوة العقل كما يؤدي الى تربية الأرادة وتغلبها على القوة الشهوية يعتبر الراغب الأصفهاني أن كمال الانسان بالعلم والعقل وسيلة لتحقيق الغاية السامية من التربية في نظره وهي السعادة ولم يصر انسانا الا بالفكر والعقل الذي به يميز بين الخير والشر والجميل والقبيح والى العقل أشار الله بقوله تعالى ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾[3] فالانسان بعقله صار معدن العلم ومركز الحكمة "[4].

ومن هنا ينصح الراغب الأصفهاني بتقوية العقل بالعلوم ليستطع ضبط شهوة الجسم حيث يقول " ونفس الانسان واقعة بين قوتين : قوة الشهوة

---

(١) سورة هود ، آية (١٠٨).
(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٦٠ ـ ٦١ .
(٣) سورة المؤمنون ، آية (٦٤).
(٤) الراغب الأصفهانى تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ص ٢١ .

وقوة العقل . فبقوة الشهوة يحرص على تناول اللذات البدنية البهيمية كالغذاء والنكاح والتغالب وسائر اللذات العاجلة وبقوة العقل يحرص على تناول العلوم والأفعال الجميلة والأمور المحمودة العاقبة. "(١)

وقد نادى بعض من دعاة التربية الحديثة الى أهمية العقل وتوسعه دائرته في ترقية الأخلاق ، والحقيقة أن الفكر الضيق مصدر لكثير من الرذائل وان العقل الجاهل لاينتج عنه خلق راق .(٢)

ويؤكد الأصفهاني على شرف العقل مستدلا بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: " أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ماخلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب ".(٣)

والعقل عند الأصفهاني ينقسم الى قسمين :

القسم الأول :

** عقل غريزي :

وهو القوة المتهيئة لقبول العلم ورفضه ووجوده في الطفل كوجود النخل في النواه والسنبلة في الحبة .(٤)

---

(١) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ص ٢١ .

(٢) أحمد أمين ، الأخلاق ، ط (بدون) ، (بيروت ، دارالكتاب العربي ، ١٩٦٩م) ، ص ٦٤ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٩٢ .
الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبى أمامه وأبي نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين . انظر أبوحامد الغزالي احياء علوم الدين تخريج حافظ الاحياء من أخبار للعلامه زين الدين أبى الفضل عبد الرحيم العراقى المتوفى سنه ٨٠٦هـ . ج ١ ص ٧٨ . والحديث موضوع انظر موضوعات الصاغانى ص ٣٥ وتنزيه الشريعة ج١ ص ٢١٣ .

القســـم الثانـــى :

** عقل مستفاد :

وهو الذي يتقوى به العقل الغريزي ، وهذا المستفاد فيما يرىالأصفهاني ينقسم الى قسميـن أيضـا :

أ ـ قسم يحصل عليه الانسان حالا فحالا بلا اختيار منه ، فلا يعرف كيـف حصل ومن أين حصل [1] ويختص بالعلوم الأخروية والمعارف الالـهيـة [2] .

ب ـ قسم يحدث باختيار من الانسان فيعرف كيف حصل ومن أين حصل ، وحصوله يكون بعد اجتهاد في تحصيله [3] . ويتعلق بالتجارب الدنيوية والمعارف المكتسبة [4] .

وطريق كل منهما يختلف عن الآخر ، ذلك أنه " لايكاد يجمع بين معرفـة الدنيا والآخرة معا على التحقيق والتصديق الا من يرشحهم الله تعالـى لتهذيب الناس في أمر معاشهم ومعادهم جميعا كالأنبياء وبعض الحكماء [5] . "

" وأن العقل لوحده قليل الفائدة لايكاد يتوصل الا الى معرفة كليـات الأشياء دون جزئياتها نحو أن يعلم جملة حسن اعتقاد الحق وقول الصـدق وتعاطي الجميل وحسن استعمال العدالة وملازمة العفة [6] . "

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابـق ، ص ٩٦ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابـق ، ص ٩٤ .
(٤) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابـق ، ص ٩٦ .
(٥) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابـق ، ص ٩٧ .
(٦) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ص ٧٤ .

" ولايهتدي العقل عند الأصفهاني الا بالشرع ولايتبين الشرع الا بالعقل فالعقل كالأس والشرع كالبناء ولن يغني أس مالم يكن بناء ولايثبت بناء مالم يكن أس ." (١)

ويرى الأصفهاني أن هناك بعض العوائق التي تعرقل سير العقل وتؤدي الى زيغه ." فمثل الانسان في بدنه كمثل وال في بلده وقواه وجوارحه بمنزلة صناع وعمله والعقل له بمنزلة مشير عالم ناصح ، والشهوة فيه كعبد سوء جالب للميره . والحمية كصاحب شرطة والعبد الجالب للميرة خبيث ماكر يتمثل للوالي بصورة الناصح وفي نصيحته ذنب العقرب ، ويعارض الوزير في تدبيره ، ولايغفل ساعة عن منازعته ومعارضته ، وكما أن الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته وزيره دون هذا العبد الخبيث وأدب صاحب شرطته وجعله مؤتمرا لوزيره وسلطه على هذا العبد وأتباعه حتى يكون هذا العبد مسوسا لا سائسة ، ومدبرا لا مدبرا ، استقام أمر بلده فكذا أيضا النفس متى استعانت بالعقل في التدبير ، وأدبت الحمية وسلطته على الشهوة وقواها استتب أمرها والا فسدت ." (٢)

" فاذا فطن العقل نفسه الى هذه العوائق التي تعرقل سيره واستطاع التخلص منها ضمن لنفسه أن تكون أحكامه صحيحة بعيدة عن الزيغ . هذا العقل الذي تجرد من الهوى وخلص من آثار التقليد هو الذي يخاطبه الاسلام

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٤٠ .

ويكلفه ويدعوه الى أن ينزع عنه ربقة الأهواء ويحذره الضلال الذي يمكن أن يقع فيه اذا اتبع الهوى أو عطل قواه باتباع أعمى ومثل هذا العقل في نظر الاسلام يستطيع أن يبحث ويستطيع أن يكشف الحقيقة ويصل اليها." (١)

ومن مظاهر العقل عند الأصفهاني " العلم والمعرفة والدراية والحكمة والذكاء والذهن والفهم والفطنة وجودة الخاطر ، وجودة الفهم ، والتخيل والبداهة والخير واصابة الظن والفراسة والزكانة* والكهانة والعرافة والالهام والنظر والرأي والتدبر وصحة الفكر وجودة الذكر وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة ." (٢)

"ومن أشرف ثمر العقل عنده : معرفة الله تعالى وحسن طاعته والكف عن معصيته ، (٣) "ويتضح مما تقدم أن الأمور التي يدركها العقل قد تكون أمورا دنيوية أو موصولة بالعالم الآخر ، فكل من له عقل يستطيع ادراك مايعرض له في الحياة . وعليه فان ادراك خصائص العلوم الكونية وغير ذلك في متناول جميع الأفراد الانسانيين الذين منحهم الخالق سبحانه وتعالى عقلا يدركون به الأشياء .

أما الارتقاء الى المستوى الأعلى وادراك الحقائق التي تتصل بالحياة

---

(١) محمد أمين المصري ، لمحات في وسائل التربية الاسلامية ، ط ٤ ، (بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨ - ١٩٧٨م).
(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٠٥ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ١١٦.

الأخرى فلا يدركها الا العقل المسلم . وهذا يعني أن الأصفهاني يربط بين كمال العقل وبين طاعة الله ، فالعقل ليس بالكيان المستقل الذي يحدد للانسان تصرفاته دون الرجوع الى أوامر الله ونواهيه وهو يشبه بذلك بن الجوزي الذى يرى أن "الوظيفة الحقيقية للعقل المسلم أن يدرك أن الله سبحانه هو خالقه أما وظيفة العقل فيما يتعلق بأمور الحياة الدنيا فهو ادراكها على الوجه السليم واختيار الوجه المناسب "(١)

ب - التكرار . وتكوين العاده :

يؤكد الأصفهاني أن الأفعال اذا تكررت على النفس حصل منها شيء ثابت فالأفعال الجميلة والقبيحة يتقوى الانسان فيها بتكرارها مرارا كثيرة وزمنا طويلا وقتا بعد وقت في أوقات متفاوتة فان من فعل شيء اعتاده واذا اعتاده تخلق به فالحذق في الصناعة كالكتابة مثلا يكون باعتياد فعل من هو حاذق في الكتابة . "(٢)

وهذا هو المفهوم الحديث في علم النفس التعليمي الذي ينادي به المربون اليوم ويسمى قانون " المران والتكرار "(٣) ولذلك يدعو الأصفهاني

(١) عبدالرحمن صالح عبدالله ، ابن الجوزي وتربية العقل ، ط١ ، (مكة : شركة مكة للطباعة والنشر ، ١٩٨٦م) ، ص ٣٢ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ص ٩١
(٣) أسماء فهمي ، مبادئ التربية الاسلامية ، (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، ص ١٤٦ .

الى الاستعانة بتكوين العادة الحسنة والميول السليمة عند المتعلم فيقول " فحق الانسان أن يتدرب بفعل الخير فان تعود فعله صار له ملكة كالصبي قد يلعب بتعاطي صناعة فيؤدي لعبه بها الى أن يتعلمها ".(١)

ج ـ القـــدوة :

يطالب الراغب الأصفهاني باتخاذ وسائل اجتماعية غير مباشرة للتربية ومنها تكوين قدوة صالحة أمام المتعلمين فيرى أن من يخالطه يأخذ طريقته فيما يتمذهب به " عن المرء لاتسأل وأبصر قرينه "(٢)

قال الشاعر : عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ∴ فكل قرين بالمقارن يقتدى

والتربية الحديثة تدعو الى الانتفاع بما لدى الأطفال من ميول وغرائز فطرية في تربيتهم تربية خلقية ، فعندهم مثلا ميل لمحكاة من يتصلون بهم في أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم . لهذا كان فلاسفة الاسلام يطلبون من مؤدب الأطفال أن يكون متحليا بالفضيلة ، معروفا بالأخلاق النبيلة ،متجنبا للرذيلة .(٣)

د ـ آثـــار البيئـــة فى سلـــوك الطفـــل :

من الوسائل التى يؤكد الراغب الأصفهانى حفاظا على فطرة الناشئ" أن يصان عن مجلسه الأرديـاء فانه في حال صباه كالشمع يتشكل بكل شكل يشكل به و،ن

---

(١) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ص ٩١ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٣) محمد عطية الأبراشي ، التربية الاسلامية وفلاسفتها ، ص ١١٣ .

يحسن في عينه المدح والكرامة ويقبح عنده الذم والمهانة ويبغض اليه الحرص على المآكل و المشارب ويعود الاقتصاد في تناولها ومخالفة الشهوة ومجانبة ذوي السخف ويؤخذ بقلة النوم في النهار فهو يشيب ويورث الكسل ، ويعود التأني في أفعاله ويمنع من مفاخرة الأقران ومن الضرب والشتم والعبث والاستكثار من الذهب والفضة.[(١)] "

ويؤكد علماء الأخلاق والتربية على أهمية المنزل باعتباره المحضن الأول للطفل ويدركون أثره في تكوين الأخلاق وتوجيهها وتربيتها حتى بعد انقضاء مرحلة الطفولة وخروج الطفل الى المدرسة ثم الى معترك الحياة.[(٢)]

واذا نظرنا الى مالدى الراغب الأصفهاني فى هذا الميدان فاننا نجده أنه لم ينس هذه الوسيلة وأثرها فى التربية فهو يقول " فحق الولد على الوالدين أن يؤخذ بالآداب الشرعية و اخطار الحق بباله وتعويده فعل الخير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع[(٣)] "

ويقول في موضع آخر :" ويعود صلة الرحم وحسن تأدية فروض الشرع

---

(١) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٤٦ .
(٢) محمد أمين المصري ، لمحات في وسائل التربية الاسلامية ، ص ٢١٦ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين، ص ٤٦ .
والحديث رواه أبوداود فى الصلاة باب " متى يؤمر الغلام بالصلاه ج ١ ص ٢١٥ ط الحلبى والترمذى فى الصلاه ج٢ ص ٢٥٩ رقم ٤٠٧

قال بعض الحكماء : من سعادة الانسان أن يتفق له في صباه من يعوده تعاطي الشريعة حتى اذا بلغ الحلم وعرف وجوبها فوجدها مطابقة لما تعوده قويت بصيرته ونفذت الى تعاطيها عزيمته ." (١)

و – الثواب والعقاب :

يعتبر الثواب والعقاب من الوسائل الهامة في التربية ، وقد تكلم الراغب الأصفهاني عنهما كما يلي :

أولا – الثواب أو التقدير للمتعلم :

كان الراغب الأصفهاني يعلم أن لدى الانسان ميلا طبيعيا لحب المدح والثناء فيرى محبة الذكر الحسن أشرف مقاصد أبناء الدنيا وهي من جبلة الناس في خصائصهم ولا يوجد في غيرهم من الحيوان كما قال الشاعر :

حب الثناء طبيعة الانسان

ولولا الكلف به لما ظهرت العدالة من أكثر الناس ، ولما أخافه الهجاء، ولا سره الثناء ، ولا ردعه عن سوء الفعال الا سوط أو سيف ." (٢)

ويرى الأصفهاني أن الانسان "الفاضل يكره الثناء عليه في وجهه سيما اذا كان من مادح مطر ، وجليس مفرّ ، وممن يحرف قبل أن يعرف ، وممن

(١) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٧٨ .

ان وجد قادحا قدح ، وان وجد مادحا مدح ، وأما ثناء الانسان على نفسه فهو شناعة وفظاعة.[(١)] على أن يكون قصد المادح تشجيع الممدوح على الاستمرار ليجتهد دائما في اصلاح نفسه.

" وأن يحسن في عين الطفل المدح والكرامة ويقبح عنده الذم والمهانه " فحق الولد على الوالدين أن يؤخذ بالآداب الشرعية واخطار الحق بباله وتعويده فعل الخير".[(٢)] فجعل الراغب الأصفهاني الأساس في الثواب هو تطبيع الانسان بتعاليم الدين منذ الطفولة وغرس الذكر الحسن بالمدح والثناء لمن يستحق ذلك ثم طالب الوالدين والمربين أن يأخذوا الطفل بالآداب الشرعية ويعودوه فعل الخير.

ثانيا – العقاب :

العقوبات متنوعة وقد قسمها أحد الباحثين الى قسمين:"أحدهما روحي: كعقاب التوبيخ والتعريض والآخر بدني كالضرب والحبس ، ويجب أن يسبق القسمان النصائح والتوجيهات ثم البدء بالتعريض ثم التوبيخ باللوم والعقاب".[(٣)]

وقد وضع الراغب الأصفهاني نظاما لتربية من يريد ارشاده من الرذيلة الى الفضيلة بلطف في المقال وتعريض في الخطاب والتعريض عنده أبلغ

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ١٧٩ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين ، ص ٤٦ .
(٣) محمد أسعد طلس ، التربية والتعليم في الاسلام ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٦م) ، ص ٨٧ .

من التصريح لوجوه :

أحدهـا : أن النفس الفاضلة لحبها استنباط المعاني تميل الى التعريض حبا باستخراج معناه بالفكر ، ولذلك قيل : رب تعريض أبلغ من تصريح .

والثاني : ان التعريض لاتنتهك به سجوف الهيبة ، ولايرتفع به ستر الحشمة .

والثالث : أن ليس للتصريح الا وجه واحد وللتعرض وجوه ومن هذا الوجه يكون أبلغ .

والرابع : أن للتعريض عبارات كثيرة مختلفة فيمكن ايراده على وجوه مختلفة والتصريح ليس له الا عبارة واحدة ، فلايمكن ايراده الاعلى وجه واحد

والخامس : ان صريح النهي داعي إلى الإغراء ولذلك قيل اللوم اغراء .(١)

فالراغب الأصفهاني يؤكد استخدام الرحمة واللين في التعامل مع التلاميذ حتى في حالة عقابهم لأن مجاوزة الحد في العقاب مضره بالمتعلم ومفسده لأخلاقه .

ولعل ابن خلدون قد تأثر بالراغب الأصفهاني في ذلك فقد ذهب في فصل من فصول مقدمته (إلى أن الشدة مع المتعلمين مضرة بهم) فأكد (أن من كان مرباه بالعسف والقهر سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعا الى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

بغير مافي ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه "،[1] وكثيرا ما أخطأ المربون الغرض من العقوبة فضلوا السبيل ،وظنوا مخلصين أن الشدة على البنين والبنات ، قد تأتي في ظنهم بخير مايرجون ، وكان ذلك لجهلهم بالحقيقة المؤلمة ، فقد أدت الشدة الى كثير من البلايا التي ولدت بعض المشكلات الاجتماعية التي يتألم منها المجتمع الانساني ، فجعلت الطفل كائنا ميت النفس ، ضعيف الارادة ، نحيف الجسم ، مضطرب الأعصاب حائرالعزيمة قليل النشاط .[2]

ونرى أن العقاب اذا وقع بشده ـ لا تقتصر آثاره السيئة على الجانب النفسي فقط وانما تتعداه الى الجانب الأخلاقي من شخصية التلميذ فيولدالخوف والقلق ، ويترتب عليهما ظهور بعض الصفات الخلقية السيئة اذ يظهر الكذب والخداع والمكر والجبن والخبث كمحاولات لتجنب العقاب ، وتتولد كراهية المعلم في نفوس التلاميذ وضمائرهم ويبتعدون عن اكتساب الفضائل والأخلاق الحميدة .

والخلاصة أن رأي الراغب الأصفهاني في كل من الثواب والعقاب يتمشى مع فهمه لطبيعة النفس البشرية ، ويتركز الثواب في مدح المتعلم على الأعمال الحسنة ومدح الأخيار عنده حتى يقتدي بهم ، أما العقاب فيتمثل فى التعريض والاقلال من اللوم والعتاب .

---

(١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ط ٥ ، (بيروت ، دار القلم ، ١٩٨٤م) ص ٥٤٠ .

(٢) محمد عطية الأبراشي ، التربية وفلاسفتها ، ص ١٥٥ .

الفصل الرابع

* الانسان عند الراغب الأصفهاني *

-x-x-

١ - الانسان مركب من بدن محسوس وروح معقول .

٢ - وحدة النفس الانسانية وتعدد قواها .

٣ - الحكمة من خلق الانسان .

يعتبر الانسان المادة الخام التي تدخل في ميدان التربية،والتربية حين يقع فعلها على الانسان وتتولى تشكيله فذلك لكي يتمكن من التكيف مع مجتمعه ، ولضمان استقرار هذا المجتمع فالانسان هو هدف التربية ووسيلتها.

ولهذا كان لابد من التوقف للتعرف على نظرة الراغب الأصفهاني الى طبيعة الانسان وموضعه بين الموجودات وامتيازه عنها ، اذ أن هذه النظرة تؤثر في الطريقة التي يربيه بها ، والمادة التي يعملها له وايمانه بمدى قابليته للتعديل أو التغيير . فكيف نظر الراغب الأصفهاني الى حقيقة الانسان ؟ أهو جسم أم عقل ؟ أم جسم وعقل معا ؟ و ما العلاقة بين الجسد والروح ؟ وما الحكمة من خلقه ؟ ومن هو الانسان الحقيقي في نظرالراغب الأصفهاني ؟

وللاجابة عن الأسئلة السابقة أهمية بالغة في الفكر لأي مفكر تربوي، لأن نظرات المربين الى عملية التربية تختلف باختلاف وجهات نظرهم للانسان وطبيعته ، فالذين يذهبون الى أن قيمة الانسان في عقله قلما يهتمون بالجسم والذين يرون أنه شرير بطبعه لايبالغون في قدرة التربية على الوصول به الى الكمال ، وأقصى مايستطيعون هو محاولة تهذيب هذه الطبيعة الشريرة ، ومن يذهبون أنه خير بطبعه يبتغون من التربية أن تحافظ على تلك الطبيعةالخيره.

١ ـ الانسان مركب من بدن محسوس وروح معقول :

استدل الراغب الأصفهاني بقول الله تعالى ﴿ اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (١) ، فالروح عنده هي النفس ويرى أن اضافتها الى الله تعالى تشريفا لها. فالتصور الثنائي للانسان هنا حيث هو مركب من نفس روحانية وجسد مادي ، وبدون النفس يصبح الجسد جيفة محتاجة الى عدة تحمله . وللتأكيد على هذا يورد الأصفهاني العديد من الآيات التي تبين كيف أن الله سبحانه قد حث على تدبر النفس والتفكر فيها . اذ جعل معرفتها مقرونة بمعرفته تعالى كما في قوله ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (٢) ولايلبث الأصفهاني أن يستشهد برأي الحكماء من حيث قولهم بأن " الانسان عالم صغير ، فالله سبحانه ركب الانسان تركيبا محسوسا معقولا على هيئة العالم وأوجد فيه شبه كل ما هو موجود في العالم " (٣).

ويتلخص مفهوم الانسان "في القرآن أنه هو المخلوق المكلف ، له رسالة يعقلها ويجب أن يؤديها على الوجه الأكمل ، وهي رسالة ودور عاقل مكلف به عن علم وعن عقل ، فرضت عليه واجبات وحرمت عليه أشياء ، وهو مثاب على ما يقوم به من خير ومعاقب على ما يقترفه من اثم " (٤) والانسان في القرآن

---

(١) سورة ، (ص) ، آية (٧١).
(٢) سورة الذاريات ، آية (٢١).
(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٩ ـ ٢٠ .
(٤) علي خليل أبو العينين ، فلسفة التربية الاسلامية في القرآن الكريم ، ط١ (بيروت: دار الفكر العربي ، ١٩٨٠م) ، ص ٩٧.

الكريم يحتل مكانة ممتازة ، فلقد خلقه الله في أحسن صورة قال تعالى :

﴿ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ﴾ (١) ، وكرمه وفضله على الكثير من

خلقه قال تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر

ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (٢) .

ويتكون الانسان من روح وجسد ولكل من الروح والجسد حاجاته وقد حرص

القرآن على تنظيمها واشباعها فلا يهمل جانبا على حساب الثاني ، قال

تعالى : ﴿ وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة و لا تنس نصيبك من الدنيا

وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لايحب المفسدين ﴾ (٣)

وفي هذا "يتمثل اعتدال المنهج الالهي القويم - الذي يحقق التعاون

والتناسق في حياة الانسان ، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال

حياته الطبيعية المتعادلة التي لا حرمان فيها ولا اهدار لمقومات الحياة

الفطرية البسيطة (٤) .

ونتيجة لذلك يبدو لنا التأثير متبادل بين النفس والجسد وأن لم تتضح

الطريقة التي يتم بها هذا التأثير ، وقد أشار الى هذا التأثير الأصفهاني

بقوله : " مثل النفس في البدن مثل مجاهد بعث الى ثغر يراعي أحواله وعقله

خليفة مولاه ضم اليه ليسدده ويرشده ، ويشهد له عليه بما يفعله اذا عاد

---

(١) سورة التين ، آية (٤) .
(٢) سورة الاسراء ، آية (٧٠) .
(٣) سورة القصص ، آية (٧٧) .

(٤) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ط ١١ ، (القاهرة : دار الشروق ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م) ص ٢٧١١ .

الى حضرة مولاه ، وبدنه بمنزله فرس دفع اليه ليركبه ، وشهرته سائس خبيث ضم اليه ليتعهد فرسه ولا قدره لهذا السايس عند المولى ، والقرآن بمنزلة كتاب آتاه من مولاه وقد ضمن كل ما يحتاج اليه عاجلا وآجلا" (١) كما وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة ﴾ (٢) وقوله : ﴿ مافرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (٣) والنبي عليه الصلاة والسلام بمنزله رسول آتاه اليه بالكتاب ليبين له ما يشكل عليه مما يقرؤه من الكتاب ، وقبيح أن ينسى هذا الوالي مولاه ويهمل خليفته فلا يراجعه فيما يبرمه وينقصه ويصرف همه كله الى تفقد فرسه وسائسه ، ويقيم سايس فرسه مقام خليفة ربه ثم ان الانسان يعتبر عالما صغيرا وجعل جسمه كمدينة والعقل كملك يدير فيها " (٤) .

هذا التأثير المتبادل الذي يلح عليه الأصفهاني انما يعتمد أساسا على أن الاسلام لا يفصل في داخل الانسان بين الجسم والعقل والروح ، ولايفصل في واقع الحياة بين هذه الطاقات ، بل يأخذها بفطرتها السوية ممتزجة مترابطة ويرسم لها دستورها على هذا الأساس .... الروح والعقل والجسم كلها كيان واحد ممتزج مترابط اسمه الانسان ، وكلها تعمل ممتزجة مترابطة في واقع الحياة . (٥)

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٤١ - ٤٢

(٢) سورة النحل ، آية (٨٩).

(٣) سورة الأنعام ، آية (٣٨).

(٤) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٥) عبد الكريم العثمان الدراسات النفسية عند المسلمين ص ١٤٣

٢ ـ وحدة النفس الانسانية وتعدد قواها :

نظر الراغب الأصفهاني الى قوى النفس الانسانية وقسمها على النحو الآتي :

أ ـ قوة الغذاء ، وبها النشور والتربية والولادة.

ب ـ وقوة الحس ، وبها الاحساس واللذة والألم.

حـ ـ وقوة التخيل ، وبها تصور أعيان الأشياء بعد غيبوبتها عن الحس.

د ـ وقوة النزوع ، وبها يكون الطلب للموافق والهروب من المخالف والرضى والغضب والايثار والكراهية .

هـ ـ وقوة التفكير ، وبها يكون النطق والعقل والحكمة والروايةوالتدبر والمهنة والرأي والمشورة .

و ـ القوة المدركة : وهى الحواس الخمس والخيال والفكر والعقل والحفظ (١)

واذا كان أرسطوا* ومن سار على نهجه من فلاسفة المسلمين قد رأوا أن للنفس مع وحدتها قوى ثلاثا هي القوة النباتية والحيوانية ، والانسانية. (٢) فان تقسيم الراغب الأصفهاني لقوى النفس الانسانية تعتمد على الوظائف المختلفة التي تقوم بها ، فقوة الغذاء دائما تقابل القوة النباتية، أما قوة الحس فتقابل القوة الحيوانية ، أما التخيل والنزوع والتفكيرفتعتبر من قوى النفس الانسانية .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢١ .

(٢) محمود قاسم ، في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام ، ط ٣، (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ، بلا تاريخ) ، ص ١٢٤ .

* ارسطو اسطاليس المولود تقريبا فى ٦٢٤قم ـ ٥٥٠ق م هو أول فيلسوف عرفته الدنيا انظر قصة الفلسفة اليونانية تأليف احمد أمين وزكى نجيب محمود ط ٢ ١٩٣٥م ص ١٦ ـ ١٩ ـ ٢٠

فالراغب الأصفهاني وان أراد التحرر مما قالت به الفلاسفة من حيث التقسيم الثلاثي ومسمياته الا أنه قد تبعهم في تفصيل الحديث عن هذه القوى. والذي نريد أن نؤكد عليه ان الراغب الأصفهاني لم يتوقف أمام وجهة نظر محدودة بالنسبة لقوى النفس وانما نجد التسميات تختلف تبعا للموضوع الذي يعالجه أو النقطة التي نريد الحديث عنها بصورة تخالف أحيانا الكيفية التي قالت بها الفلاسفة وبين طريقة قبوله لها وعرضه اياها . مما يوحي بأنه قد قام بتجميع ما وقع بين يديه من نتاج فكري في زمانه وبعد استيعابه وعرضه من وجهة نظره قدم المادة العلمية أو " الفلسفية " بصورة تتلائم مع مبادئ الدين الاسلامي حسب مايفهمه ويراه بالنسبة للنصوص الدينية .(١)

ولتوضيح هذا يمكن الاشارة هنا الى ماسبق وقرره من أن للنفس الانسانية قوى خمسا ، ومع هذا نجده في الوقت نفسه يضيف قوة سادسة حيث يقول " فأما القوى المدركة منها فخمس الحواس الخمس والخيال والفكر والعقل والحفظ ".(٢)

ومن ناحية أخرى يقسم الراغب الأصفهاني قوي النفس الانسانية الى ثلاث قوى :

" ١ ـ قوة الشهوة : وباصلاحها تحصل العفة.

٢ ـ قوة الحمية : وباصلاحها تحصل الشجاعة.

٣ ـ قوة الفكر : وباصلاحها تحصل الحكمة.

---

(١) حسان محمد حسان ، نادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية ، ص ٢٣٩ .

(٢) الراغب الأصفهاني في الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢١ .

وباصلاح هذه القوى يحصل في الانسان قوة العدالة فيقتدي بالله تعالى في سياسة نفسه وسياسة غيره فنفس الانسان معادية له"[(١)] كما قال تعالى: ﴿ ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ﴾[(٢)] ، ونختم هذا الموضوع بايراد مثال من الأمثلة ، التي يدلل بها الأصفهاني على وحدة النفس وتعاون وظائفها أو قواها وعملها تحت امارة النفس التي تصدر الأوامر المختلفة في وحدة منسجمة.

يقول الأصفهاني في الذريعة " اعلم أن مثل الانسان في بدنه كمثل وال في بلده وقواه وجوارحه بمنزلة صناع وعمله ، والعقل بمنزلة مشير عالم ناصح ، والشهوة فيه كعبد سوء جالب للميرة . والحمية له كصاحب شرطة والعبد الجالب للميرة خبيث ماكر يتمثل للوالي بصورة الناصح وفي نصحه ذنب العقرب ، ويعارض الوزير في تدبيره ، ولايغفل ساعة عن منازعته ومعارضته . وكما أن الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته وزيره دون هذا العبد الخبيث وأدب صاحب شرطته وجعله مؤتمرا لوزيره وسلطه على هذا العبد واتباعه حتى يكون هذا العبد مسوسا لا سائسا و مدبرا لا مدبرا استقام أمر بلده فكذا أيضا النفس متى استعانت بالعقل في التدبير وأديت الحمية وسلطته على الشهوة وقواها ، استتب أمرها والا فسدت"[(٣)]

ولهذا حذرنا الله تعالى غاية الحذر من اتباع الهوى فقال تعالى:

---

(١) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ط (بدون) ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٢) سورة يوسف ، آية (٥٣).

(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٤٠ .

﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ (١)

وقد أخذ الغزالى عن الأصفهانى رأيه فى وحدة النفس (٢) وكذلك فعل باقي مفكرى المسلمين الذين تبعوه حتى الذين قالوا بأن النفس جسم لطيف كابن القيم .

ثم أن أكثر فلاسفة النصرانيه فى العصر الوسيط كالاكويني ، ومن قبله أوغطسين على هذا الرأي (٣) .

٣ ـ الحكمة من خلق الانسان :

يرى الأصفهانى أن الحكمة من خلق الانسان هى قيامه بثلاثة أفعال يختص بها من بين المخلوقات الأخرى .

أ ـ عمارة الأرض :

المذكورة فى قوله تعالى ﴿ والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب ﴾ (٤) وذلك لتحصيل المعاش لنفسه ولغيره ، والقيام بما فيه تزجية حياة الناس وصلاح معاشهم فالانسان الواحد من حيث لم يكف أمر معاشه بانفراده من مأكله وملبسه ومسكنه وليس له سبيل الى ثباته فى الدنيا بما يسد جوعه ويستر عورته ويقيه من الحر والبرد

---

(١) سورة (ص) ، آية (٢٦) .

(٢) أبوحامد الغزالى ، احياء علوم الدين ج ٣ ص ٧ .

(٣) عبدالكريم العثمان ، الدراسات النفسيه عند المسلمين ، ص ٨٩ .

(٤) سورة (هود) ، آية (٦١) .

لم يكن له بد من تحصيل ذلك من الوجه المباح له ، ولذلك قال تعالى :

﴿ ان لك ألا تجوع فيها ولا تعري،وانك لاتظمؤا فيها ولا تضحى ﴾ (١) ومتى كان سعي العبد في ذلك على الوجه الذي يجب وكما يجب يكون سعيه عبادة وجهادا في سبيل الله تعالى (٢) وعمارة الأرض تكون بتولية الانسان أمورا لم يصلح لها الا هو مثل الصناعات والمهن المحسوسة التي استعبد الله الانسان فيها وتحتاج الى عنصر تعمل منه والى مكان وزمان والى حركة والى أعضاء والى آلة وهذا القسم خص الله الأنسان به ولم يستصلح له الملائكة وجعل لكل مقام معلوم كما نبه عليه تعالى بقوله : ﴿ وما منا الا له مقام معلوم ﴾ (٣) وكذلك جعل لكل نوع من الناس مقاما معلوما (٤) فللانسان أن ينتفع بكل ما في العالم على وجهه أما في غذائه أو في دوائه أو في ملابسه ومشموماته ومركوباته وزينته والاعتبار به والاقتداء بفعله فيما يستحسن منه والاجتناب عنه فيما يستقبح منه فقد نبه الله تعالى على منافع جميع الموجودات وأطلق الخلائق عليها ليستفيد منها ويقتدي بها في عمارة الأرض وضرب بعض الأمثلة كالنحل ،واستشهد بقول الله تعالى : ﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات (الآية) (٥) فنبه على أن الانسان حقه أن يقتدي بالنحل في مراعاته لوحي الله عز وجل فكما أنها لا تتخطى

---

(١) سورة طه ، آية (١١٨ - ١١٩).

(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٣٥

(٣) سورة الصافات ، آية (١٦٤).

(٤) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٣٨.

(٥) سورة النحل ، آية (٦٨).

وحي الله [1] في عمارة أرضه .

ب ـ الامتثال لله سبحانه وتعالى :

في عبادته وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه في قوله تعالى ﴿ وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) [2] قال تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) [3]

"فكل ماوجد لفعل فمتى لم يوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدوم ولذلك كثيرا مايسلب عن الشيء اسمه اذا وجد فعله ناقصا لقولهم للفرس الرديء ليس هذا بفرس وللانسان ليس هذا بانسان . ويقال فلان لا عين له ولا أذن اذا بطل فعل عينه وأذنه وان كان شبحهما باقيا وعلى هذا قال تعالى : ﴿ صم بكم عمي ﴾ [4] فيمن لم ينتفع بهذه الأعضاء فالانسان يحصل له من الانسانية بقدر مايحصل له من العبادة [5] . "

ج ـ خلافة الله :

المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ [6] وغيرها من الآيات وذلك هو الاقتداء بالباري سبحانه على قدر

---

(١) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٤١ .
(٢) سورة الذاريات ، آية (٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨)
(٣) سورة البينة ، آية (٥).
(٤) سورة البقرة ، آية (١٧١).
(٥) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٦٩ .
(٦) سورة الأعراف ، آية (١٢٩).

طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة ومكارم الشريعة هي الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس في الحكم والاحسان والفضل والقصد منها أن يبلغ بذلك الى جنة المأوى وجوار رب العزة تبارك وتعالى ٠

وقسم الأصفهاني السياسة التي يستحق بها الانسان خلافة الله تعالى الى قسمين :

١ - سياسة الانسان نفسه وبدنه وما يختص به٠

٢ - سياسة غيره من دونه وأهل بلده ولايصلح لسياسة غيره من لايصلح لسياسة نفسه ، ولهذا ذم الله تعالى من ترشح لسياسة غيره فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهو غير مهذب في نفسه فقال : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلوا ﴾ (٢) وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ﴾ (٣) أي هذبوها قبل الترشح لتهذيب غيركم ٠ (٤)

---

(١) سورة البقرة ، آية (٤٤)٠
(٢) سورة الصف ، آية (٢ -٣)
(٣) سورة المائدة ، آية (١٠٥)٠
(٤) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٣٢ - ٣٣ ٠

الفصل الخامس

* المعرفة عند الراغب الأصفهاني *

-x-x-

١ – المعرفة الحسية ٠

٢ – أهمية المعرفة العقلية وافتقارها الى الشرع
وافتقاره لها٠

المعرفة عند الراغب الأصفهاني : قاصرة عن العلم"لأنها تقال فيما يدرك آثاره وان لم يدرك ذاته ، ولهذا يقال فلان يعرف الله تعالى ، ولا يقال يعلم الله عز وجل لما كانت معرفته لآثاره دون معرفة ذاته ، وتقال المعرفة أيضا فيما يتوصل اليه بتفكير وتدبر.[(١)] "

والمعرفة عند الأصفهاني أنواع هي :

١ - المعرفة الحسية :

ان المعرفة الحسية عند الراغب الأصفهاني " جارية مجرى الجواسيس وأصحاب الاخبار الصادقي اللهجات فيما يرفعونه من الأخبار فيلتقط كل واحد الخبر من الصقع الذي وكل به فيرفعه الى صاحب البريد[(٢)] وهو القوة المتخيلة ومسكنها مقدمة الدماغ[(٣)] وصاحب البريد يسقط مايراه حشوا ويرفع الباقي الى حضرة الملك[(٤)] وهو العقل ومنبعه من القلب[(٥)] فيميزه ويعرف منافعه ومضاره ويسلمه الى خازنة وهي القوة الحافظة ومسكنها خلف الدماغ[(٦)] فحينئذ يتقدم[(٧)] باخراجه[(٨)] بواسطة الترجمان القوة الناطقة وآلتها اللسان أو الكاتب وهي القوة الكاتبة وآلتها اليد وسكانها الأخيار والأشرار وهي القوى التي منها

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٠٣ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٢٤ - ٢٥.
(٣) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٢٨ .
(٤) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٥ .
(٥) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٢٨ .
(٦) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٥ .
(٧) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٢٨ .
(٨) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٥ .

الأخلاق الجميلة والأخلاق القبيحة".(١)

فالمعرفة الحسية عند الراغب الأصفهانى مكتسبة مصدرها المثيرات المحسوسة ووسيلتها الحواس الخمس وهذه المعرفة ليست يقينية ولكنها تتعرض للصواب والخطأ . ويرى الأصفهانى أن لكل من الحواس ادراك مخصوص فالحواس الظاهرة عند الراغب الأصفهانى هى :-

أ - اللمس :

ويستطيع الانسان أن يدرك حاسة اللمس عن طريق مايلى :-
شعوره بالحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف واللين أو ملامسة أشياء خشنة أو صلبة أو رخوه أو ملامسته لأى شىء خفيف أو ثقيل .

ب - الذوق :

ويمكن للانسان أن يدرك حاسة الذوق عن طريق اللسان الذى يتذوق به الأشياء الحلوة والمرة والمالحة والحامضة والتى تشعره بلذعة فى لسانه .

جـ - الشم :

وهذه الحاسة يمكن للانسان أن يدركها بواسطة الأنف الذى يستطيع به أن يتعرف على الأشياء الطيبة أو النتنه ويميز بينها عن طريق هذه الحاسة .

د - السمع :

وهذه الحاسة يمكن أن تدرك عن طريق الأذن التى تستطيع سماع الأصوات سواء الخفيفة منها أو الثقيلة .

هـ - البصر :

وهى الحاسة التى ندرك بها الأشياء عن طريق العين التى تستطيع أن تحكم على النور والظلمة وادراك اللون والحجم وسطحه وشكله ووضعه وارتفاعه

وأبعاد الأشياء وحركاتها وسكناتها وأعدادها .(١)

وبعد الاشارة الى الحواس الظاهرة عند الراغب الأصفهاني يحسن بنا أن نلقي نظرة على ترتيب هذه الحواس ، ومدى تأثره وتأثيره فيمن سبقوه فابن سينا* يتبع في ترتيب الحواس الظاهرة منهجا يغلب عليه في أكثر كتبه ، وهو التدرج من الشيوع الحسي في سائر الحيوان الى مايوجد في نوع منه ومن الحواس التي يلاصق فيها الحس للمحسوس الى تلك التي تحس بالواسطة ، وتتدرج الحواس عنده من البساطة الى التركيب ، أو العكس حين يكون التدرج من المركب الى البسيط . وحذا ابن سينا في ترتيبه حذو أرسطو وكذلك فعل ابن رشد* ، وابن باجه .(٢)

أما الراغب الأصفهاني فانه لايتبع هذه القاعدة دائما وان لم يهملها ذلك لأنه لايعني بدراسة الحواس دراسة تشريحية نظرية ، وانما يدرسها من خلال عنايته بها كأدوات أو آلات للمعرفة ، ولذا يختلف ترتيبها بحسب الغاية التي تؤديها .

فيرى الأصفهاني أن أقل هذه الادراكات اللمس ثم الذوق ثم الشم ، فالنفس لاتكاد تستعين بها الا فيما يعود نفعها الى صلاح الجسم .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢١ - ٢٢ .

* (ابن سينا) هو أبوعلى الحسين بن عبدالله بن سينا - انظر عيون الأنبياء فى طبقات الاطباء ، لموفق الدين أحمد بن القاسم السعدى بيروت جا ١٩٦٥م ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .

* (ابن رشد) هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسى بولوليد من أهل قرطبه الأندلس وطبقات الأطباء جـ٢ ص ١١١ وطبقات جـ٢ ص ٧٥ .

" وأما السمع والبصر فمتوسطان لأنهما يخدمان النفس والجسم وخدمتهما للنفس أكثر ويدركان الأشياء الجسمانية • والسمع واليصر كالأخوين يخدم كل واحد منهما صاحبه في ادراكه فقد ينوب السمع عن اليصر في ابلاغ القلب بما يأخذه عن اللفظ فيدرك في ساعة مايدركه البصر في برهة وينوب البصر عن السمع في ابلاغ القلب بمطالعة الكتب مالايدركه السمع في مدة سيما اذا كان المخاطب ناقص العبارة ، أو غير متثبت في الكلام أودق المعنى وغمض • "(١)

ولعل الغزالي في دراسته للحواس كأدوات للحياة وللمعرفة قد تأثر بالراغب الأصفهاني ولنأخذ مثلا في حالة ترتيبه الحواس الخمس وبيان وظيفة كل حاسة منهما فيقول " فالنظر الى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك فأولها حاسة اللمس ، وانما خلقت لك حتى اذا مستك نار أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ، ولا يتصور حيوان الا ويكون له هذا الحس لأنه اذا لم يحس أصلا فليس بحيوان وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصق ويماسه ، فان الاحساس مما يبعد منه احساس أتم لا محالة ، وهذا الحس موجود لكل حيوان •••• ثم افتقرت الى حس تدرك به ما بعد عنك ، فخلق لك الشم الا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فتحتاج الى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه ، وربما لاتعثر فتكون في غاية النقصان لولم يخلق لك الا هذا ، وخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك ، أو تدرك جهته فتقصد

---

(١) انظر الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ،ص ٢٢ – ٢٣ – ٢٤

الى تلك الجهة بعينها ... واما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره ، وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب .... وكل ذلك ماكان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف" (١)

فالراغب الأصفهاني يتفق مع بعض مفكري الاسلام أن اللمس أول الحواس وأعمقها وأما الغاية الحيوية التي وجد اللمس من أجلها فتنحصر فيما يعود نفعه الى صلاح الجسم ودفع المضار عنه كما تفعل باقي الحواس الأخرى واذا كانت حاسة البصر عند الغزالي لاتختلف عن تعريف ابن سينا له : (فهو قوة مرتبة من العصبية المجوفة تدرك صوره ما ينطبع في الرطوبة الجلدية من أشياح الأجسام ذوات اللون المتأدية في الأجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الأجسام الصقيلة وبعبارة أخرى أن البصر هو " القوة الداركة للألوان والأشكال المودعة في ملتقى تجويف العينين في مقدم الدماغ " وموضوع هذه الحاسة هو الألوان بشتى أنواعها وما يتبعها من الأشكال والمقادير والألوان ليست قائمة بذاتها بل هي أعراض ولايطيل الغزالي في شرح الألوان على عكس مايفعل ابن سينا . " (٢)

فالراغب الأصفهاني قد جعل السمع والبصر يخدمان النفس والجسم وخدمتهما للنفس أكثر ويدركان الأشياء الجسمانية وهما كالأخوين يخدم كل واحد منهما الآخر (٣) . وهو بذلك قد جعل لكل من السمع والبصر اداركات عقلية .

---

(١) أبو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٤ ، ط ١ ، (بيروت : دار القلم ، بلا تاريخ) ، ص١٠٣ .

(٢) عبد الكريم العثمان ، الدراسات النفسية عند المسلمين ، ص ٢٨٩-٢٩٠ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٢ - ٢٣ .

٢ – أهميــة المعرفة العقلية وافتقارها الى الشرع وافتقاره لها :

المعرفة العقلية هي أشرف المعارف عند الراغب الأصفهاني .... حيث يقول " وأرفع الادراكات العقل ثم الفكر ثم التخيل ثم الحس ، الا أن العقل والفكر يدركان الأشياء الروحانية "(١) لذا نجد أن المعرفة العقلية عند الراغب مصدرها المدركات ووسيلتها العقل .

ويرى الراغب " أن العقل لن يهتدي الا بالشرع والشرع لايتبين الا بالعقل فالعقل كالأس والشرع كالبناء ولن يغني أس مالم يكن بناء ولن يثبت بناء مالم يكن أس ، وقال أيضا فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر مالم يكن شعاع من خارج ولم يغن شعاع مالم يكن بصر"(٢) ويستدل بقول الله تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ﴾(٣) ثم يفصل الراغب الأصفهاني في افتقار كل من العقل والشرع للآخر فيقول وأيضا " فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده فان لم يكن زيت لم يحصل السراج ومالم يكن سراج لم يضيء الزيت"(٤) واستشهد بقول الله تعالى : ﴿ الله نورالسموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ﴾(٥) .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٢ .
(٢) الراغب الأصفهاني فى تفضيل النشأتين ص ٦٣ .
(٣) سورة المائدة ، آيــة (١٧) .
(٤) الراغب الأصفهانى تفضيل النشأتين ص ٦٣ .
(٥) سورة النور ، آيــة (٣٥) .

ويرى الأصفهاني" أن الشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل وهما متعاضدان بل متحادان ولكون الشرع عقلا من خارج سلب الله اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو قوله : ﴿ صم بكم عمي فهم لايعقلون ﴾[2] .

ولكون العقل شرعا من داخل قال في وصف العقل ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾[3] فسمى العقل دينا ولكونهما متحدين قال : ﴿ نور على نور ﴾[4] أي نور الشرع ونور العقل ثم قال : ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾[5] فجعلهما نورا واحدا فالشرع اذا فقد العقل عجز عن أكثر الأمور عجز العين عند فقد الشعاع[6] .

ويرى الأصفهاني" أن المعرفة العقلية لوحدها قليلة الفائدة لاتكاد تصل الا الى كليات الأشياء دون جزئياتها كمعرفة قول الصدق وتعاطي الجميل وحسن استعمال العدالة وملازمة العفة أما المعرفة الشرعية فتصل الى معرفة كليات الأشياء وتبين الاعتقاد الصحيح فلا يعرفنا العقل مثلا أن لحم الخنزير والدم والخمر محرم وأن لا تنكح ذوات المحارم وأن لا تجامع المرأة في حال الحيض فان أشباه ذلك لاسبيل اليها الا بالشرع فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة والدالة على مصالح الدنيا والآخرة ومن عدل عنه فقد ضل سواء السبيل[7] . "

---

(١) الأصفهاني ـ تفصيل النشأتين ص ٦٤ .
(٢) سورة البقرة ، آية (١٧١) .
(٣) سورة الروم ، آية (٣٠) .
(٤) سورة النور ، آية (٣٥) .
(٥) سورة النور ، آية (٣٥) .
(٦) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٦٤ .
(٧) الراغب الأصفهاني ـ المرجع السابق ص ٦٤

وتطابق المعرفة في رأي الراغب الأصفهاني طبيعة الانسان ، فلا يمكن الحصول على المعرفة الحقيقية عن طريق حواسه وان كان العقل يأخذ كثيرا من مبادي العلوم عنها فهي كما صورها مثل صاحب الأخبار تنقل الأخبار الى الخيال ثم الى العقل الذي تميز ما ينقل اليه ويأخذ طيبه ويترك رديئه فالمعرفة الحقيقية في رأي الراغب الأصفهاني هي المعرفة العقلية الشرعية .

وهذا التعاون بين العقل والشرع يبدو واضحا عند الغزالي ، ويضرب الغزالي مثالا على هذا التعاون بأن الانسان اذا فكر بعقله وراعى حد الشرع وحكمه ومقاصده ، فانه يعلم " أن شهوتي البطن والفرج جهز الانسان بهما ليبعثاه على حفظ الفرد والنوع بسلامة البدن ، الذي به صحة العقل والتفكير ، وطلب العلوم وحقائق الأمور ، وبالنسل الذي به عمارة الأرض وبقاء العالم . واذن فليس للمرء ان استشار عقله أن ينيل هاتين الشهوتين كل سؤلهما وحرى به أن يأكل ليعيش لا يعيش ليأكل ، وفي الثانية أن يتزوج ليحصن نفسه ويساهم في بناء العالم لا ليطلب اللذة ويلهو ويتمتع فحسب ويكون ذلك على أساس تحديد حد الضرورة فيكون مقتصرا من كل أمر على قدر الحاجة .[1]

ولعل الغزالي قد تأثر بالراغب الأصفهاني خاصة اذا عرفنا أن الغزالي كان يستصحب كتاب الراغب الذريعة الى مكارم الشريعة ويستحسنه لنفاسته[2]

ولعل كلاهما قد تأثر بالآخر خاصة وانهما عاشا في عصر واحد وقد أيد هذا

(١) عبدالكريم العثمان ، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص ، ط ٢ ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م) ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٢) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٨٢٧ .

الاعتدال بين العقل والشرع بعض المختصين في التربية الاسلامية في هذا العصر فالدكتور

ماجد الكيلاني حيث يرى (أن الانشقاق بين الشرع وبين العقل والحس سواء في ميدان فلسفة التربية أو في مناهج المعرفة يهبط بالانسان أنى كان الى درجة النفس الحيوانية التي يسميها القرآن الكريم ﴿ النفس الأمارة بالسوء ﴾ (1) .

والخلاصة أن الانسان يتلقى المعرفة في نظر الراغب الأصفهاني عن طريق الحواس والعقل والشرع ، والفرق بينهما أن المعلومات الواردة عن طريق الحواس ظنية ، والمعلومات العقلية الشرعية يقينية ولذلك كانت المعلومات العقلية الشرعية غالية وشريفة .

---

(٢) ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية الاسلامية ، ط ١ ، (بيروت :دار البناء الاسلامية ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م) ، ص ٣٠٠ .

الفصل السادس

* نظرة الراغب الأصفهاني الى الأخلاق *

-x-x-

١ ـ تحديد مفهوم الخلق عند الراغب الأصفهاني .

٢ ـ قابلية الأخلاق للاكتساب .

٣ ـ تصنيف الفضائل عند الراغب الأصفهاني .

٤ ـ أسباب ازدياد الانسان في الفضائل والرذائل عند الأصفهاني .

٥ ـ أسباب انتكاس الانسان في الرذيلة عند الأصفهاني.

٦ ـ أحوال الانسان في تعاطي الفضيلة والرذيلة .

ان حقيقة التربية الأخلاقية فى نظر الاسلام هى تنشئة الانسان وتكوينه تكوينا متكاملا من الناحية الأخلاقية بحيث يصبح فى حياته مفتاحا للخير مغلاقا للشر فى كل الظروف والأحوال ويسارع الى الخيرات ويسابق فيها كما يسارع الى ازالة الشرور (١) .

ولقد أعطى الراغب الأصفهانى الجانب الأخلاقى فى التربية أهمية رئيسية أما عن تفاصيل هذه الأهمية فهى كما يلى :

١ – تحديد مفهوم الخلق عند الراغب الأصفهانى :

يعرف الخلق فى المفردات بأنه أخص بالقوى والسجايا ، المدركة بالبصيرة قال تعالى : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ (٢) وقرئ ﴿ ان هذا الا خلق الأولين ﴾ (٣) والأخلاق ما اكتسبه الانسان من الفضيلة بخلقه" (٤) قال تعالى ﴿ وماله فى الآخرة من خلاق ﴾ (٥) .

ويعرفه في مجمع البلاغة : بقوله (تقول فى حسن الخلق : هو ذلول بين الذل وهين لين قيّد ، من قولهم : اجعل فى أول قطارك بعيرا قيدا يتبعه نحو : سلس القيادة ، طوع الجناب سمح المقاده ، كريم الأخلاق ، وعندما يستشهد بالآية الكريمة ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ (٢) يفسرها بقوله (أي أطهر أعراقا وأحسنهم أخلاقا) ... والرّده فى الطباع تلو الردة فى الشرائع والخلق رديف الخلقة وعقيب الفطرة (٦) .

(١) مقداد يالجن جوانب التربية الاسلامية الاساسية ط ط (لبنان دار الريحاني للطباعة والنشر(١٤٠٦ – ١٩٨٦م) ص ٣٠١
(٢) سورة القلم ، آية (٤) .
(٣) سورة الشعراء ، آية (١٣٧) .
(٤) الراغب الأصفهانى ، المفردات فى غريب القرآن،ص ١٥٨.
(٥) سورة البقرة ، آية (١٠٢) . (٦) الراغب الأصفهانى ، مجمع البلاغةص٢٦٢

أما في الذريعة فقد جعل الأصفهاني "الخلق مرة للهيئة الموجودة في النفس التي يصدر عنها الفعل بلا فكر وجعل مرة اسما للفعل الصادر عنه باسمه وعلى ذلك أسماء أنواعها : نحو العفة والعدالة والشجاعة ، فان ذلك يقال للهيئة ، وللفعل جميعا.

وربما سمي الهيئة باسم ، والفعل الصادر عنها باسم كالسخاء والجود فان السخاء اسم للهيئة التي عليها الانسان ، والجود اسم للفعل الصادر عنها ، وان كان قد يسمى كل واحد منهما باسم الآخر."[1] كما عرفه في موضع آخر "بأنه حالة الانسان الداعية الى الفعل من غير فكر ولا رويه"[2] ولاشك أن تعريف الذريعة يعتبر أكثر هذه التعاريف شمولا ويشبهه تعريف مسكويه (بأنه حالة للنفس داعية لها الى أفعالها من غير فكر ولا روية)[3]

ولعل الغزالي قد تأثر بتعريف الأصفهاني للخلق فعرفه في كتابه الاحياء بأنه " عبارة عن هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية ، فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وان كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا."[4]

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٥٠ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .
(٣) مسكويه، تهذيب الأخلاق ، (القاهرة: ١٣٢٦ هـ) ، ص ٢٥ .
(٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ٥١ – ٥٢ .

وقد أختلف الفلاسفة قديما فى نظرتهم لوظيفة التربية الخلقيه وقد بسط ابن سكوين فى كتابة تهذيب الأخلاق آراء الفلاسفة الذين سبقوه على الوجه الآتى :-

١ - رأى الرواقيين : الذين يرون أن الناس كلهم أخيار بالطبع ، ثم بعد يصيرون أشرار بمجالسة أهل الشر والميل الى الشهوات الرديئة وعدم تمييز الحسن من القبيح (١) .

٢ - قوم آخرون غير الرواقين : ظنو أن الناس خلقوا من الطينة السفلى وهى كدر العالم فهم لذلك أشرار بالطبع ويصيرون أخيارا بالتربية من الصبا وبمجالسة الأخيار وأهل الفضل (٢) .

٣ - رأى جالينوس : أن الناس فيهم من هو خير بالطبع ومن هو شرير بالطبع ، ومن هو متوسط بين هذين الفريقين ، ويرى أن الخيرين بالطبع قليلون وأن الشريرين بالطبع كثيرون ولا ينقلون الى الخير ، وأن المتوسطين قد ينقلون الى الخير بمصاحبة الأخيار وقد ينقلون الى الشر بمقارنة أهل الشر وأغوائهم (٣) .

٤ - رأى أرسطو : أن الشريرقد ينقل بالتربيه الى الخير وليس ذلك على اطلاقه فهو يعتقد أن تكرير المواعظ والتربيه وأخذ الناس بالأخلاق الفاضلة لا بد وأن يؤثرفى ضروب الناس تأثيرات مختلفة ، فمنهم من يقبل التربية بسرعة ومنهم من يقبلها بأبطاء (٤) .

---

(١) مسكويه - تهذيب الأخلاق - القاهرة ١٣٢٦هـ ص ٣٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٢ - ٣٣ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٢ - ٣٤ .

أما الراغب الأصفهاني فيرى أن الأخلاق مكتسبة وليست طبيعية وبذلك يمكن تغييرها وتعديلها بالتربية والواقع أننا مقطورون على قبول الخلق الحسن ويدل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم (كل مولد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)(١) وينتقل بالتربية والتعليم الى تلك الأخلاق سريعا أم بطيئا .

٢ ـ قابلية الأخلاق للأكتساب والتغيير :

يؤمن الأصفهاني بقبول الأخلاق للتغيير مثله في ذلك مثل مسكويه والغزالي والصوفيه الذين يدعون الى مجاهدة النفس(٢) ، وهو ينتقد من يزعم أن الأخلاق لا تتغير ، اعتمادا على أن الأخلاق مقتضى المزاج والطبع ، وأن الخلق صورة الباطن كما أن الخلق صورة الظاهر ، وكما أن الخلق لا يتغير فكذلك الخلق والمجاهدة بزعمهم لا تفيد(٣) .

ويدعم الأصفهاني رأيه باشاراته الى أن كل كائن حي يمكن أن يتغير خلقه حتى البهائم يمكن تبديل خلقها من الاستيحاش الى الاستئناس . وأنه لو كانت الأخلاق لا تتغير لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والأمر

---

(١) البخاري كتاب الجنائز ج ٣ ص ٣٤٦ حديث رقم ١٣٨٥ ، رواه مسلم في كتاب القدر الباب السادس حديث ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ بألفاظ نحوه .

(٢) عبدالكريم العثمان ، الدراسات النفسية عند المسلمين ، ص ٣٧٩ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٥١ .

والنهي ، ولما جوز للعقل أن يقال للعبد لم فعلت ولما تركت [1] "فالتربية توجه الأخلاق نحو الأفضل .

ويؤكد الأصفهاني على امكانية تغير الخلق ومما يؤكد ذلك قوله تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾ [2] ، فالأفراد من حيث غرائزهم أو طباعهم يختلفون بعضهم عن بعض ، فبعضهم جبل أو طبع على سرعة القبول وبعضهم كما يقول جبلوا جبلة بطيئة القبول وبعضهم في الوسط وكل نوع من هذه الأنواع قابل لأن يتغير ، وان لم يكن بدرجة كبيرة فبدرجة قليلة [3] .

والانسان عند الراغب الأصفهاني لابد أن يسعى الى تهذيب نفسه والذي ينبغي تهذيبه من النفس هو القوى الثلاث :

- قوة الفكر وبتهذيبها تحصل الحكمة والعلم ، وبفسادها يتولد البله والجربزة* ، ويتحرى الاقتصاد في تدبير الأمور الدنيوية ، وليس يعني بالحكمة هنا العلوم النظرية وانما يعني بها الحكمة العملية التي يتحرى بها المصالح الدنيوية والدينية .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٥١ .
(٢) سورة الشمس ، آية (٩ - ١٠).
(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٥١ .
* الجربزة بالضم الخبه والخبيث والمصدر الجربزة والخبه بالفتح والكسر الرجل الخداع .

ب - قوة الشهوة :بتهذيبها واصلاحها تحصل العفة والجود فيحترز بهما من الشره واماتة الشهوه ويتحرى المصلحة في المأكول والمشروف : الملبوس والمنكوح وطلب الراحة وغير ذلك من اللذات الحسية .

٣ - قوة الحمية : وباصلاحها تحصل الشجاعة والحلم فيتحرز من الجبن والتهور والحسد ويتحرى الاقتصاد في الخوف والغضب والأنفه وغير ذلك وباصلاح هذه القوى يحصل في الانسان قوة العدالة فيقتدى بالله تعالى في سياسة نفسه وسياسة غيره فنفس الانسان معادية له كما قال تعالى: ﴿ ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ﴾ فمن أدبها أو هذبها من ظلمها فاز وسعد فى الدنيا والآخرة والى هذا أشار الله تعالى بقوله ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ﴾ (٢) أي لا يخاف أن تظلمه نفسه الشهوة فالأعمال الصالحة حصن منها لقوله تعالى ﴿ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (٣) .

وقد تناول الراغب هذه القوى بمضمون اسلامي " ويلاحظ أن كثيرا من المفكرين المسلمين وابن سينا والتوحيدي قالوا بهذه الفضائل (٤) ولكنهم على تصنيف فلاسفة اليونان كما ذكرنا سابقا .

---

(١) سورة يوسف ، آية (٥٣) .
(٢) سورة طه ، آية (١١٢) .
(٣) سورة العنكبوت ، آية (٤٥) ،
الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٨٦ .
(٤) عبد الكريم العثمان ، الدراسات النفسية عند المسلمين ، ص ٣٧٨ .

٣ ـ تصنيف الفضائل عند الراغب الأصفهاني :

أولا ـ الفضائل الأخروية :

وهى تشتمل على مايلي :

أ ـ العبادة :

" العبادة فعل اختياري مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله بالشريعة "[١] ولم يقتصر الراغب الأصفهانى على المعنى الأخلاقى السابق لها ولكنه جعل الأعمال الانسانية كلها لونا من العبادات وجعل من مظاهر العبادة سيطرة الانسان وتسخيره لما فى السماء والأرض من موجودات لصالحه والارتقاء بحياته ، ونجاحه فى الاكتشافات العلمية المؤدية لاستخراج مافى باطن الأرض ، وظاهرها ، وتعميرها واستغلال كنوزها "[٢].

فقد جعل الأصفهانى من كل فعل يتحراه الانسان عبادة سواء كان الفعل واجبا أو ندبا وّ مباحا . فهو يقول " وما من مباح الا واذا تعاطاه الانسان على مايقتضيه حكم الله تعالى كان الانسان فى تعاطيه عابدا لله مستحقا لثوابه " واستشهد الأصفهانى بقول النبى صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص " انك لتوءجر فى كل شىء حتى اللقمة تضعها فى امرأتك"[٣] ومخاطبته لسعد بذلك لما عرف منه أنه يراعى فى أفعاله حكم الله تعالى. وعلى هذا الوجه قال الرسول صلى الله عليه وسلم " مامن مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له

---

(١) الراغب الأصفهاني فى تفصيل النشأتين ص ٧٤

(٢) الاسلام والمذاهب الفلسفية ، مصطفى حلمى ص ١٦٩

(٣) والحديث فى البخارى فى الوصايا ج ٤ ص ٣ والنفقات جـ٧ ص ٨٠ بغير هذا اللفظ ورواه مسلم فى الوصية ج ١١ ص ٧٧ بلفظ نحوه .

به صدقه "(١)

ويشترط الراغب في تلك الأعمال لكي تكون عبادة . مراعاة أمر الله في جميع الأمور دقيقها وجليلها . "(٢)

ب ـ أنواع العبادة :

يرى الراغب الأصفهاني أن العبادة نوعان علم وعمل وحقهما أن يتلازمان لأن العلم ، كالأس والعمل كالبناء وكما لايغني أس مالم يكن بناء ولا يثبت بناء مالم يكن أس كذلك لا يغني علم بغير عمل ولا عمل بغير علم ولذلك قال الله تعالى : ﴿ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾(٣) ، والعلم أشرفهما لكن لا يغني بغير عمل و لشرفه قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أيما الأعمال أفضل يا رسول الله ؟ فقال : " العلم" فأعاد عليه السؤال فقال : " العلم " فقال الرجل في الثانية أسألك عن العمل لا عن العلم فقال عليه السلام " عمل قليل مع العلم خير من عمل كثير مع الجهل "(٤) ."

والأعمال ثلاثة أقسام :

١ ـ عمل يختص بالقلب .

٢ ـ عمل يختص بالبدن .

---

(١) الحديث رواه البخاري في الحرث جـ٣ ص ١٣٥ ، ومسلم في المساقاه جـ١ ص٢١٣ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) سورة فاطر ، آية (١٠).

(٤) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٧٥ـ ٧٦ .

٣ ـ عمل يشارك فيه البدن والقلب .

والعلم أيضا اذا نظر اليه وهو مكتسب فاكتسابه عمل واذا نظر اليه وقت اكتسب وتصور في القلب خرج في تلك الحال عن أن يكون عملا وتنقسم الأعمال من وجه لآخر الى واجب ـ ومندوب ـ فالواجب يقال له العدل ـ والمندوب يقال له الاحسان وهما المذكوران في قوله تعالى : ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ﴾ (١) ، فالغرض من العدل والاحسان تحري الانسان لما اذا عمله أثيب واذا تركه لم يعاقب . " (٢)

ثانيا ـ الفضائل النفسية :

يرى الراغب الأصفهاني أن الفضائل الخلقية النفسية لايتصف بها الانسان الا اذا تطهرت نفسه من الرذائل التي اعتبرها نجاسة للنفس ولاتكون الطهارة منها الا باصلاح القوى الثلاث التي هي دواعي الانسان في تصرفاته وهي قوة الشهوة وقوة الحمية وقوة الفكر التي بصلاحها يحصل في الانسان قوة العدالة .

والانسان مفطور على اصلاح أفعاله وأخلاقه وعلى أن يفسدها وميسر له أن يسلك طريق الخير والشر وان كان هو بالحملة الى أحدهما أميل . وعلى تمكنه من السبيلين دل الله بقوله : ﴿ انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ﴾ (٣) .

---

(١) سورة النحل ، آية (٩٠) .
(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٧٧ .
(٣) سورة الانسان ، آية (٣) .

وقوله تعالى: ﴿ وهديناه النجدين ﴾ (١) أي عرفناه الطريقين طريق الخير وطريق الشر

وكما أنه مفطور على اكتساب الأمرين في ابتدائه مفطور على أنه اذا تعاطى

أحدهما ان خيرا وان شرا ألفه وتعوده واذا تعوده تطبع به ، واذا تطبع

به صار له طبعا وملكة فيصير فيه بحيث لو أراد أن يتركه لم يمكنه ذلك (٢)

والفضائل النفسية الكبرى عند الأصفهاني هي :

" الحكمة - والعلم - والعفة - والجود - والشجاعة - والحلم "

ثم يحدث من جميع الفضائل باعتدالها فضيلة العدالة وهي كمالها

وتمامها .

أ- الحكمة :

أما عن الحكمة فقد عرض الأصفهاني أولا للمعنى اللغوي لها فردها الى

الفعل الثلاثي (حكم) أي منع منعا لاصلاح ومنه سميت اللجام (حكمة)

الدابة فقيل حكمته وحكمت الدابة منعها بالحكمة وأحكمتها جعلت لها حكمة

وكذلك حكمت السفينة وأحكمتها قال الشاعر :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم

وقد ميز الأصفهاني بين الحكمة المنسوبة لله سبحانه وتعالى والمتصف

بها الانسان ، " فالحكمة من الله معرفة الأشياء وايجادها على غاية الأحكام

(١) سورة البلد ، آية (٩).

(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٨٧ .

(٣) الراغب الأصفهانى المفردات فى غريب القرآن ص ١٢٦ .

ومن الانسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات ." (١)

ثم أوضح الراغب الأصفهاني المقصود بالحكمة في بعض الآيات الواردة في القرآن مثل قوله تعالى : ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ (٣) قيل تفسير القرآن الكريم واستشهد بتفسير ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ من آيات الله والحكمة ﴾ هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه محكمه ومتشابهه (٤) وربما يتضح الاتجاه الأخلاقي للأصفهاني في تعريفه للحكمة بأنها " اسم لكل علم حسن وعمل صالح ، فهي بالعلم العملي أخص منه بالعلم النظري " (٥)

وقد عرفت الحكمة أيضا " بمعرفة الأشياء الموجود بحقائقها ، ويعني كليات الأشياء ، فأما جزئياتها فلا سبيل للبشر الى الاحاطة بها ، وهذا الحد بحسب اعتبارها بالعلم ، وقيل : هي أمانة الشهوات على مايجب ، وهذا الحد بحسب باعتبارها بالعمل فيما هو غاية المراد من الانسان " (٦)

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٠٤ .
(٢) سورة الجمعة ، آية (٢) .
(٣) سورة الأحزاب ، آية (٣٤) .
(٤) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .
(٥) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٠٤
(٦) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

ويرى الراغب الأصفهاني أن الوسيلة لبلوغ درجة الحكمة لاتتحقق الا لرجلين : أحدهما : " مهذب في فهمه يؤمن فى فعله ساعده معلم ناصح وكفاية وعسر "(١) أي انه يجعل الغاية من الحكمة تكوين الانسان المؤمن ، لأن الايمان زبدة العقل والعمل ، ومن ثم لايعد الكافر انسانا الا على سبيل المجاز "فالانسان يحصل له من الانسانية بقدر ما تحصل له العبادة "(٢)٠

والثاني: الهيـى الذي يصطفيه الله تعالى فيفتح عليه أبواب الحكمة بفيض الـهي ، ويلقى اليه مقاليد جوده فيبلغه ذروة السعادة به(٣) ، ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾(٤) ، وهم الحاصلون على الحكمة بنوع من الالهام ٠

مما سبق نجد أن الأصفهاني قد تنبه لمفهوم الحكمة كما وردت في الاسلام وكذلك تنبه للحكمة عند فلاسفة اليونان ، اذ وصفهم بأنهم " كانوا أصحاب حكمة ولم يكونوا عملة ، ويستطرد في بيان رأيه عنهم فيقول " كانوا يصورون الآلة ولا يخرطون الأداة ، يشيرون اليها ولايمسونها يرغبون في التعلم ويرغبون عن العمل "(٥)٠

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٠٥ ٠
(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٦٩ ٠
(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٠٥ ٠
(٤) سورة الحديد ، آية (٢١)٠
(٥) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ، ص ٩٣

ب ـ العفة والجود :

يرى الراغب الأصفهاني أن العفة والجود من الفضائل التي تهذب الشهوة تلك القوة التي اعتبرها أصعب قوى النفس الثلاث السالفة الذكر وأشدها تشبثا بالانسان وتملكنا منه ، فهي تولد معه وتوجد فيه وفي الحيوان الذي هو من جنسه ، ولا يصير الانسان خارجا من جملة البهائم وأسر الهوى الا بأمانة الشهوة البهيمية بقهرها وقمعها ، وان لم يمكنه اماتته اياها فهي التي تضره وتغره وتصرفه عن طريق الآخرة (١) .

والعفة لا تتعلق الا بالقوة الشهوية لا بالملاذ الحيوانية ، وهي المتعلقة بشهوتي البطن والفرج دون الألوان الحسية ، والالحان الطيبة والأشكال المنظمة " وهي ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية ، وهي الحالة المتوسطة بين افراط هو الشره ، وبين تفريط هو جمود الشهوة ، وهي أس الفضائل من القناعة والزهد وغنى النفس والسخاء ، وعدمها يغطي على جميع المحاسن ويعري من لبوس المحامد ومن اتسم بسمة العفة قامت العفة له بحجة ما سواها من الفضائل وسهلت له سبيل الوصول الى المحاسن . وأسها يتعلق بضبط القلب عن الشهوة البدنية ، وعن اعتقاد ما يكون جلبا للبغي والعدوان .

وتمامها يتعلق بحفظ الجوارح ، فمن عدم عفة القلب والعقل يكون منه التمني وسوء الظن اللذان هما أس كل رذيلة ، لأن من تمنى ما في يد غيره

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٥٢ .
(٢) الراغب الأصفهانى ، المرجع السابق ص ٢١١ – ٢١٢ .

حسده ، فاذا حسده عاداه ، واذا عاداه نازعه ، ومن نازعه ربما قتله ،ومن أساء الظن عادي وبغي وتعدى ". ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى عنهما جميعا (١) ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾ (٢) وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ﴾ (٣) ولايكون الانسان تام العفة ، حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر ـ فمن عدمها في البصر مدّ العين الى المحارم وزينه الحياة الدنيا المولدة للشهوات الرديئة ومن عدمها في السمع . أصغى الى المسموعات القبيحة وعماد عفة الجوارح كلها أن لا يطلقها صاحبها في شيء مما يخص كل واحد منها فيما يسوغ فيه العقل والشرع دون الشهوة والهوى . " (٤)

* شروط العفة عند الأصفهاني :

١ ـ ألا يكون تعففه عن الشيء انتظار لأكثر منه .

٢ ـ ألا يكون تعففه عن الشيء لأنه لايوافقه .

٣ ـ ألا يكون تعففه عن الشيء لجمود شهوته .

٤ ـ ألا يكون تعففه عن الشيء لاستشعار خوف من عاقبته .

٥ ـ ألا يكون تعففه عن الشيء لأنه ممنوع من تناوله .

٦ ـ ألا يكون تعففه عن الشيء غير عارف لقصوره .

فان ذلك كله غير عفه بل هو اصطياد ، أو تطبب أو مرض أو خرم أوعجز

---

(١) الأصفهاني : المرجع السابق ص ٢١٢ .

(٢) سورة النساء ، آية (٣٢).

(٣) سورة الحجرات ، آية (١٢).

(٤) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ص ٢١٣ .

أو جهل وترك ضبط النفس عن الشهوة أذم من تركها عند الغضب (١) ٠

أما الجود فهو "بذل المقتني ، ويقابله البخل والجود على ألسنة الناس محمود ولذلك قيل : كفى بالجود حمدا أن اسمه مطلقا لايقع الا في حمد ،وكفى بالبخل ذما ان اسمه مطلقا لايقع الا في ذم (٢) ٠

* أقسام الجود :

١ - جود الله تعالى : وهو البذل على كل أحد بقدر استحقاقه ٠
٢ - جود الملوك : وهو بسط المال على العفاة غنيهم وفقيرهم ٠
٣ - جود السوقه : وهم دون الملوك وهو بذل المال للسؤال ٠
٤ - وجود الصعاليك : وهو البذل للندامى وشرب الخمر ٠
٥ - جود عوام الناس : وهو الاحسان الى الأقارب ٠

والجود المحمود مما سبق عند الأصفهاني هو الجود الالهي وهو الجود على كل بقدر استحقاقه ، فالمعطي مايحتاج اليه لمن لايحتاج اليه مسرف مضيّع ، والمعطي لغيره شيئا لرهبة واق نفسه ، والمعطي لرغبته لمثوبة أو محمده دنيوية (٣) ٠

ومتى قمعت الشهوة صار الانسان حرا نقيا فتقل حاجته من مال أو غيره ويصير غنيا عما في يد الناس ، وسخيا بما في يده ومن هنا نجد تلازم هاتين

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢١٣ ٠
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ٠
(٣) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق، ص ٢٩٤ ٠

الفضيلتين العفة والجود " وجعلت العفة جودا فقيل الجود جودان جود بما في يدك وجود عما في يد غيرك وهو أعظمها [١] لذلك كانت العفة أعظم من الجود" فهي اذا تقوت ولدت القناعة والقناعة تمنع عن الطمع في مال غيره فولدت الأمانة .[٢]

أ- الشجاعة والحلم :

تحصل الشجاعة والحلم من اصلاح قوة الحمية فيتخرز من الجبن والتهور والحسد ويتحرى الاقتصاد في الخوف والغضب والأنفه وغير ذلك .[٣] "والشجاعة هي كف النفس عن الخوف وعن الحرص المذمومين ، أما الحلم فهو كف النفس عن قضاء وطر الغضب .[٤] "

والشجاعة متى تقوت تولد منها الجود في حال النعمة ، والصبر في حالة المحنة والصبر يزيل الجزع ويورث الشهامة المختصة بالرجولة كما قال الشاعر :

خلقنا رجالا للتجلد والأسى ∴ وتلك الغواني للبكا والمآتم [٥]

وباستعمال الصبر يدرك الشجاعة والحلم.[٦]

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٨٠ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٧٢ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٨٦ .
(٤) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٤٨ .
(٥) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٧٢ .
(٦) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٢١٨.

وتتولد الشجاعة من الغضب والفزع اذا كانا متوسطين فان الغضب قد يكون مفرطا كمن يغضب سريعا من أشياء صغيرة وقد يكون متوسطا على مايجب في وقت مايجب ، وكذلك الفزع ، يكون مفرطا فيتولد منه الجبن الهالع ، ومفرطا فيتولد منه الوقاحة والغمارة ، كمن لايفزع من شتم أبيه وتضييع حرمه وأصدقائه ، ويكون الغضب والفزع على حالتين محموده ومذمومه فصارا يحمدان تارة ، ويذمان تارة فيحمد الغضب نحو قوله تعالى : ﴿ غضب الله عليهم ﴾ (١) والغضب في حالة الظلم ويذمان في حالة التهور والحقد . (٢)

وتنقسم الشجاعة عند الأصفهاني الى خمسة أقسام :

الأولى – شجاعة سبعية : كمن أقدم لثوران غضب .

الثانية : شجاعة بهيميه : كمن حارب توصلا الى مأكل أو منكح .

الثالثة – شجاعة تجريبية : كمن حارب مرارا فظفر فجعل ذلك أصلا يبنى عليه .

الرابعة – شجاعة جهادية : كمن يحارب ذبا عن الدين .

الخامسة – شجاعة حكمية : وهي تكون في كل ذلك عن فكر وتمييز وهيئة محموده يقدر مايجب على مايجب .

فيحمد من أقدم على كافر غضبا لدين الله ، أو طمعا في ثوابه ، وخوفا من عقابه ، أو اعتمادا على ما رأى من انجاز الله تعالى ووعده في نصرة أوليائه . فان كل ذلك محمود .

والفرق بين المقدم في الحرب لمحض الحكمة واخلاص الدين ، وبين

---

(١) سورة الفتح ، آية (٦) .
(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٢٠ .

المقدم لغير ذلك . أن المقدم لغير الحكمة والاخلاص يخاف الموت أكثر مما يخاف المذمة ، والمقدم للحكمة والاخلاص بالعكس من ذلك فانه يختار الموت الحميد على الحياة الذميمة (١) والراغب الأصفهاني بهذا المعنى يعطي الشجاعة معنى الجهاد .

ومن الشجاعة المحمودة مجاهدة الانسان نفسه أو غيره وكل واحده منهما قسمان : الأول : مجاهدة النفس وهو يشمل ، مجاهدة النفس بالقول ويكون بالتعليم .

ومجاهدة النفس بالفعل وذلك بتهذيب الشهوة وتهذيب الحمية .

والقسم الثاني : هو مجاهدة الغير وهي تشتمل على :

مجاهدة الغير بالقول وذلك بتعيين الحق وتعليمه . ومجاهدة الغير بالفعل وذلك مدافعة الباطل ومتعاطيه بالحرب (٢) .

ويتضح مما سبق أن انفعالي الغضب والخوف من أهم الانفعالات عند الراغب الأصفهاني ويضعه من حملة دوافع السلوك وبواعثه وأن لكل من الخوف والغضب عند الأصفهاني مثيرات نفسية مثل الدين والمأكل والمشرب والحروب والتعليم والشهوة ومدافعة الباطل - وغيرها من المثيرات .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

وقد ذكرنا فيما سبق الفضائل النفسية الكبرى عند الأصفهاني وتحت كل فضيلة من تلك الفضائل فضائل متفرعة منها على سبيل المثال - فضيلة الصبر والقناعة ، والزهد والورع ، والحياء ، والعفو ، والصفح ، وغير ذلك من الفضائل.

ثالثا - الفضائل البدنية : وهي تشتمل على مايلي :

١ - صحة البدن وخلوه من الأمراض :

"فالبدن للنفس بمنزلة الآلة للصانع ، والسفينة للربان ، ويرى الأصفهاني أن البدن ينقسم الى أربعة أجزاء هي :

أ - العظام : وهي للبدن كالألواح للسفينة.

ب - والعصب : وتجرى للبدن مجرى الرباط الذي شد الألواح .

ج - واللحم : وهي للبدن بمنزلة الحشو للرباط .

د - والجلد : ويجرى للبدن مجرى الغشاء لجميعها.

وبصلاح هذه الأجزاء الأربعة تعتدل القوى البدنية الأربع وهي (القوة الجاذبية ، والقوة الماسكة ، والقوة الهاضمة ، والقوة الدافعة).

٢ - القوة :

هي جودة تركيب هذه الأركان الأربعة وهي (العظام ، والعصب ، واللحم ، والجلد ، وما يتبعها وبها يصلح البدن للسعي والتصرف في أمور الدنيا والآخرة . "(١)

---

(١) الراغب الأصفهانى ، المرجع السابق ص ٧٠

٣ - الجمال :

وهو عند الأصفهاني نوعان :

- النوع الأول :

امتداد القامة الذي يكون عن اعتدال الحرارة الغريزية فان الحرارة اذا حصلت رفعت أجزاء الجسم الى العلو كالنبات اذا نجم كلما كان أطلب للعلو في منبته كان أشرف في جنسه .

- النوع الثاني :

من الجمال هو أن يكون معدولا قوي العصب طويل الأطراف ممتدها ، رحب الذراع غير مثقل بالشحم واللحم .(١)

والراغب لايعني بالجمال هنا ما يتعلق به شهوة الرجال والنساء، فذلك أنوثة ، وانما يعني به الهيئة التي تنبوء الطباع عن النظر اليها ، وهو أدل شيء على فضيلة النفس لأن نورها اذا أشرق تأدى الى البدن اشراقها .

وكل شيء عند الراغب فله حكمان :

- حكم من قبل جسمه وهو منظره.

- حكم من قبل نفسه وهو مخبره وقد قال الحكماء ، الرجال مخابر وليست مناظر .

وكثيرا ما ترتبط الفضائل الجسمية بالفضائل النفسية عند الأصفهاني فيرى أن لوجه الانسان ولاسمه أثرا كبيرا في نفسه.

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٧٠ .

٤ - طول العمر :

فيرى الأصفهاني أنه لولا طول العمر لقل حض الانسان من السعادات الدنيوية التي لولاها لما نيلت السعادة الأخروية [(١)] .

ومن هنا نجد أن الراغب الأصفهاني قد اهتم بالتربية البدنية وعرف دورها في خدمة العقل والنفس معا .

ولعل الغزالي قد تأثر بالراغب الأصفهاني في الفضائل البدنية حيث يقول في كتابه الاحياء عندما يتحدث عن الفضائل النفسية ويرى أنها لاتتم الا بالفضائل البدنية ويذكر نفس الفضائل البدنية التي ذكرها الأصفهاني وهي : " الصحة ، والقوة ، والجمال ، وطول العمر " [(٢)] .

رابعا - الفضائل المطيفة :

قسم الأصفهاني الفضائل المطيفة بالانسان الى أربعة أقسام هي المال والأهل ، والعز ، وكرم العشيرة " ويرى أن هذه الفضائل نافعة في بلوغ الفضيلة الحقيقية والسعادة الأخروية ، وان لم تكن الحاجة اليها في بلوغ ذلك ضرورية [(٣)] .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٧٢ .
(٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٤ ، ص ٩٧ .
(٣) الراغب الأصفهانى الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٧٠ .

أما عن المال : "فصاحبه يتمكن من فضائله اذا فقده فقد بلوغها ، وان كثير من القرب كالزكاة والحج يفقده الفقير ، فالفقير في تحري المكارم كساع الى الهيجاء بغير سلاح .

وفضل المال مغطى كماء تحت الأرض ونار كامنة في الصخر وما أصدق قول الشاعر :

والمرء يرفعه الغنى ∴ والفقر منغصته وذل

وقول الآخر :

فلا مجدفي الدنيا لمن قل ماله ∴ ولامال في الدنيا لمن قل مجده "[١]

وقال صلى الله عليه وسلم : " نعم العون على تقوى الله المال "[٢] .

وأما عن الأهل : نعم العون على بلوغ السعادة فمن كثر أهله وخالصوه صار له بهم عيون وآذان وأيد قال الله تعالى حاكيا عن لوط عليه السلام ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد ﴾[٣] .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٦٦ .
(٢) رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر ورواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر مرسلا: ومن طريقه رواه القضاعي في مسند الشهاب هكذا مرسلا جـ٢ ص١٦٠ رقم ١٣١٧ .
(٣) سورة هود – آية ٨٠ .

وقال عليه الصلاة والسلام في نفع العبد : " اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له "[١] ،وان المرأة مزرعة الرجل قيضها الله تعالى ليزرع فيها زرعه كما قال تعالى: ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب اليكم نفعا ﴾[٣] .

وأما عن العز : "ويه يتأبى الانسان عن تحمل الذل ومن لاعز له لايمكنه أن يذود عن حريمه ، ولذلك قيل : الدين والسلطان اخوان توأمان وقريبان مؤتلفان ومؤديان الى عمارة البلاد وصلاح العباد : وقيل : الدين أس والسلطان حارس وما لا أس له فمهدوم ، ومالاحارس له فضائع "[٤] ،وسمي تعالى الحجه سلطانا لقهرها أولي البصائر وقال عز اسمه : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾[٥] .

وأما عن كرم العشيرة : "ويقال له الحسب والشرف أخص بمآثر الآباء والعشرية ، ومن الناس من لايعد الأصل فضيلة ، وقيل : المرء بنفسه ،واستدل بقول علي أمير المؤمنين رضي الله عنه : الناس أبناء ما يحسنون،وقوله قيمة كل امرئ مايحسنه

---

(١) رواه مسلم فى الوصية جـ ١١ ص ٨٥ بشرح النووى .
(٢) سورة البقرة ، آية (٢٢٣).
(٣) سورة النساء ، آية (١١).
(٤) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٦٧ .
(٥) سورة البقرة ، آية (٢٥١).

كقول الحكيم : الشرف بالهمم العاليه لا بالعظم الباليه وقد يكون كرم الأعمام والأخوال مخيلة لكرم المرء وفطنه له ، فالفرع وان كان قد يفسد أحيانا فمعلوم أن أصله قد يورثه الفضيلة والرزيلة فانه لا يكون من النخل الحنظل ، ولا من الحنظل النخل .

ويبين ذلك أن الأخلاق نتائج لا مزجة ، ومزاج الأب كثيرا مايتادى الى الأبن كالألوان والخلق والصور " (١) ، ومن أجل تأديها اليه قال صلى الله عليه وسلم : " اياكم وخضراء الدمن قيل يارسول الله وما خضراء الدمن قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء " (٢) ، وما ذكر من نحو قول أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، الناس أبناء مايحسنون " فحث به الانسان على اقتباس العلا ، ونهى عن الأقتصار على مآثر الآباء ، وأن المآثر الموروثة قليلة الفائدة ، سريعة الفناء مالم تضم معها فضيلة النفس ، ومن كان عنصره فى الحقيقة سنيا ، وفى نفسه دنيا ، فذلك أتى اما من اهماله نفسه أو لتعوده عادات قبيحة وصحبه أشرار وغير ذلك من العوارض المفسدة للعناصر الكريمة " (٣) .

---

(١) الراغب الأصفهانى ، الذريعة الى مكارم الشريعة ص ٦٨ .

(٢) رواه الدار قطنى فى الأفراد ، والرامهرمزى فى الأمثال من حديث أبى سعيد الخدرى قال الدارقطنى تفرد به الواقدى وهو ضعيف ورواه الشهاب القضاعى فى مسنده ج ٢ ص ٩٦ رقم ٦٢٢ وأنظر المقاصد الحسنة ص ١٣٥ .

(٣) الراغب الأصفهانى ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٦٩ .

فالأصفهاني فيما سبق يتحدث عن آثار الوراثة وما يمكن أن يرثه الطفل من الغرائز والنزعات والميول الفطرية التي يرثها من أبيه أو أجداده وعشيرته والتي تحتاج الى تربية وتهذيب وتوجيه وتعديل وارشاد في البيئة التي يعيش فيها الطفل •

وقد أثبت علماء النفس المعاصرون أن الطفل يرث من أبويه وشجرته الوراثية صفاته الجسمية والعقلية ، أما الصفات الخلقية فانها تكتسب بالمحاكاة والقدوة الحسنة والتربية والتجربة[1] وعند التحقق نجد أن الأصفهاني قد سبق هؤلاء العلماء الى ماذهبوا اليه منذ زمن بعيد • وبما أن الغزالى قد عاصر الأصفهاني وكان يستصحب كتابه الذريعة كما ذكرنا سابقا فان كثيرا من الآراء التربوية فى كتابه الأحياء مستمدة ومقتبسة من الأصفهاني فقد قسم الغزالى الفضائل المطيفة بالانسان الى أربعة هي المال ، والأهل ، والجاه ، وكرم العشيرة وهذا التقسيم هو نفس تقسيم الأصفهاني مع استبدال العز بالجاه في بعض الأحيان[2] ، ويرى الغزالي أن " الحاجة النافعة على الجملة كحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجه المطيفة بالانسانية مثل المال والعز والأهل ، فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة"[3] وما أشبه هذا القول بقول الراغب الأصفهاني " وانه لاغنى

---

(١) محمد عطية الأبراشي ، التربية الاسلامية وفلاسفتها ، ص ٢٥٥ •

(٢) أبو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٤ ، ص ٩٧ •

(٣) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٩٨ •

لكمال الفضائل النفسية والبدنية ، عن الفضائل الخارجية المطيفة بالانسان فانه وان أمكن أن يتصور حصولها لمن لا أهل له ولا مال له ولا عشيرة ، فانه لا يكمل الا بها) (١) .

خامسا – الفضائل التوفيقية :

ان السعادة التوفيقية عند الأصفهاني هى الهداية والرشد والتسديد والتأييد

١- الهداية : ولا سبيل لأحد عنده الى شيء من الفضائل الا بهداية الله تعالى ورحمته ، فهو مبدأ الخيرات ومنتهاها كما قال الله تعالى قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (٢) وخاطب فقال : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكي منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء ﴾ (٣) (٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم " مامن أحد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى ، أي بهدايته قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته " (٥) أي بهدايته تنبيها على أنه لو توهمت رحمته مرتفعة ابتداء وانتهاء ماكان لنا سبيل الى ذلك " (٦) .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٦٥ – ٦٦ .

(٢) سورة طه ، آية (٥٠) . (٢) الراغب الأصفهانى المرجع السابق ص ٧٦

(٤) سورة النور ، آية (٢١) .

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة " لن يدخل أحدكم عمله الجنة " .

(٦) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٧٧ .

تنقسم الهداية حسب تصنيف الراغب الأصفهانى الى مايلـــــى :-

١ ـ هداية لتعريف الانسان سلوك طريق الخير أو سلوك طريق الشر التى أشـار اليها الله عز وجل فى كتابه الكريم بقوله تعالى ﴿ وهديناه النجدين ﴾ (١)

والهدى الالهى يسره الله لكل انسان مكلف بطريقين هما :-

أ ـ العقـــل ب ـ ارسال الرسل .

وهذا ماجاءت به الآية الكريمة فى قوله تعالى ﴿ وأما ثمود فهديناهـم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ (٢) .

٢ ـ هداية المؤمنين بالهامهم مايتقون به النار وهى الهداية التى تزداد مع زيادة العمل الصالح والاستزادة من العلم فى حياتهم .

قال تعالى ﴿ والذين اهتدوا زدناهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ (٣) .

٣ ـ هداية الاسلام وهى الهداية التى وردت فى قوله تعالى ﴿ قل ان هدى اللـه هو الهدى ﴾ (٤) وهو الهدى الذى يتفرد به الله عز وجل كما أشار اللـه تعالى فى الآية السابقة وهذه الهداية تجعل المسلم يفرق بين الحق والباطل كما قال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ (٥)

حيث يكون هذا الهدى حياة ونورا للمسلم للتفريق بين الكفر والايمـان وهذا ماأشارت اليه الآية الكريمة فى قوله تعالى ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا ﴾ (٦) ، حيث يشرح الله عز وجل بذلك صدر المؤمن بهـذه الهداية فتكون له نورا يهتدى به الى طريق الخير . قال تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ﴾ (٧) ، ومن خلال النظر فى أنواع الهداية الثلاثة عند الراغب الأصفهانى نجد أنها تؤدى بالفرد المسلم الى جزاء عظيموهو

---

(١) سورة البلـد ، آية (٩) .
(٢) سورة فصلت ، آية (١٧) .
(٣) سورة محمد ، آية (١٧) .
(٤) سورة آل عمران ، آية (٧٣) .
(٥) سورة الأنفال ، آية (٢٩) .
(٦) سورة الأنعام ، آية (١٢٢) .
(٧) سورة الزمر ، آية (٢٢) .

دخـــــول الجنة [١] المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [٢] .

٢ ـ الرشـد :" عناية إلاهية تعين الانسان عند توجهه في أموره فتقويه على مافيه اصلاحه وتفتره عما فيه فساده ، وأكثر ما يكون ذلك من الباطل نحو قوله تعالى : ﴿ ولقد ءاتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ [٣] وكثيرا ما يكون ذلك بتقوية العزم ، أو فسخه " [٤] واليه توجيه قوله تعالى : ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرءوقلبه ﴾ [٥]

٣ ـ التسديد :" وهو أن يقوم ارادته وحركاته نحو الغرض المطلوب لتهجم عليه في أسرع مدة يمكن الوصول فيها اليه وهو المسؤول بقوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [٦] والنصرة من الله تعالى معونة الأنبياء والأولياء وصالحي العباد ، بما يؤدي الى صلاحهم عاجلا أو آجلا ، وذلك يكون تارة من خارج يقيضه الله تعالى فيعينه ، وتارة من داخل بأن يقوي قلوب الأولياء ، أو يلقي رعبا في قلوب الأعداء ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [٧] وقوله : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ [٨] وأما ما يختص بسعادة

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٧٧ .
(٢) سورة الأعراف ، آية (٤٣) .
(٣) سورة الأنبياء ، آية (٥١) .
(٤) الراغب الأصفهاني، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٧٨ .
(٥) سورة الأنفال ، آية (٢٤) .
(٦) سورة الفاتحة ، آية (٦) .
(٧) سورة غافر ، آية (٥١) .
(٨) سورة الصافات ، آية (١٧١، ١٧٢ ، ١٧٣).

الدنيا ولا يعتبر فيه العاقبة فيقال لها الدولة" (١)، وعلى هذا قوله تعالى ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ (٢) وقوله في وصف الغني: ﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ (٣).

٤ - التأييد :"هو تقوية أمره من داخل بالبصيرة ومن خارج بقوة البطش" (٤) ويدل على تقوية أمر الانسان من الداخل بالبصيرة قوله تعالى :﴿وأيدناه بروح القدس ﴾ (٥).

أما العصمة فهي فضل الهي يقوي به الانسان على تحري الخيرات وتجنب الشر حتى يصير كمانع له من باطنه ، وان لم يكن مانعا محسوسا وإياه عني بقوله : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ (٦) ومن عصمته تعالى للعبد أن يكرر الوعيد على من يريد عصمته لئلا يغفل ساعة عن مراعاة نفسه كقوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ (٧) وان رشده تعالى للعبد وتسديده ونصرته وعصمته تكون بما يخوله من الفهم الثاقب والسمع الواعي، والقلب المراعي ، وتقيض المعلم الناصح والرفيق الموافق ومن العشرة

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٧٨ .
(٢) سورة آل عمران ، آية (١٤٠).
(٣) سورة الحشر ، آية (٧).
(٤) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٧٩ .
(٥) سورة البقرة ، آية (٨٧).
(٦) سورة يوسف ، آية (٢٤).
(٧) سورة الحاقة ، آية (٤٤، ٤٥ ، ٤٦).

والعزة ما يصونه عنه سفه السفهاء وعن الغض منه من جهة الأغنياء وان خوله من كبر الهمة وقوة العزيمة مايحفظه عن الأشياء الدنية والتأخر عن بلوغ كل منزلة سنية.(١)

ويظهر من حديث الاصفهاني عن الفضائل حاجة بعضها الى بعض أما حاجة ضرورية ان لم تكن موجودة اختل حال الآخر ، وذلك أن السعادة الحقيقية الأخروية لاسبيل الى الوصول اليها الا باكتساب الفضائل النفسية ولا سبيل الى الفضائل النفسية الا بصحة البدن وقوته ، وانه لاغنى لكمال الفضائل النفسية والبدنية عن الفضائل الخارجية المطيفة بالانسان(٢) ولاسبيل لأحد بشيء من الفضائل السابقة الا بهداية الله تعالى ورحمته .

٤ ـ أسباب ازدياد الانسان في الفضائل والرذائل عند الأصفهاني :

الانسان عند الأصفهاني يكتمل في الفضيلة بأربع درجات : درجتين في الاعتقاد ودرجتين في الفعل وهي كالتالي :-

أ ـ الدرجة الأولى:" أن يعتقد الجميل ويجعل اعتقاده عن براهين واضحة وأدلة قاطعة.

ب ـ الدرجة الثانية : أن يبتعد عن الشبهات الواهية والاقناعات المتداعية.

حـ ـ الدرجة الثالثة: أن يترك العادات السيئة فيكرهها ويبعدها ويتجنب الرزيلة ليتوصل للفضيلة .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٧٩ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

الدرجة الرابعة : أن يتعود الحسنة ويؤثرها ويتنعم بها .

ومن صار فى الفضيلة الى الدرجة الرابعة فهو من شرح الله صدره للأسلام فهو على نور من ربه (١) . "

٥ - أسباب انتكاس الانسان فى الرذيلة :

ينتكس الانسان فى الرذيلة عند الأصفهانى بأربع درجات درجتين فى الاعتقاد ومثلهما فى العمل وهى كالتالى :

الأولى : " ألا يعتقد شيئا من العلوم الحقيقية فيبقى عنها غافلا .

والثانية : أن يعتقد عن تقليد فاسد اعتقادا فاسدا فيتطلخ به .

الثالثة : ألا يتعود العادة الجميلة رأسا .

الرابعة : أن يتعود العادات القبيحة .

ومن صار فى الرذيلة الى الدرجة الرابعة فهو من الذين وصفهم الله بقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأغمى أبصارهم ﴾ (٢) ثم قال ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (٣) وقيل لحكيم ألا يتعظ فلانا ؟؟ فقال : ذاك على قلبه قفل ضاع مفتاحه ، فلا سبيل الى معالجته (٤) . "

---

(١) انظر الراغب الأصفهانى ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) سورة محمد ، آية (٢٣) .

(٣) سورة محمد ، آية (٢٤) .

(٤) انظر الراغب الأصفهانى المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .

٦- أحوال الأنسان فى تعاطى الفضيلة والرذيلة :

وللانسان في الفضيلة والرذيلة ثلاثة أحوال :

- الحالة الأولى :

اما أن يكون في ابتدائها فيقال عبدها وابنها ولهذا قال بعضهم: من لم يخدم العلم لم يرعه.

- الحالة الثانيه :

أن يتوسطها فيقال هو أخوها وصاحبها .

- الحالة الثالثة :

أن ينتهي فيها بقدر وسعه ويتصرف فيها كما أراد فيقال : هو ربها وسيدها .

وغاية الفاضل في الفضيلة أن يقع منه أفعال الفضائل أيدا من غير فكر ولا روية لغلبة قواها عليه وبعد ما ينافيها عنه.

وغاية الرذل في الرذيلة أن يقع منه أفعال الرذائل لغلبة قواها عليه ولهذا عرف الخلق : بأنه حال الانسان الداعية الى الفعل من غير فكر ولارويه." (٢)

---

(١) الراغب الأصفهانى المرجع السابق . ص ٥٤ - ٥٥ .

الفصل السابع

* نظرة الراغب الاصفهاني الى المجتمع *

-x-x-

١ ـ الانسان والمجتمع ٠

٢ ـ صورة المجتمع الفاضل ٠

لاشك أن المفكر التربوي هو مصلح اجتماعي بالدرجة الأولى حيث أن المجتمع هو الوعاء الذي تصب فيه المبادئ والمعايير الأخلاقية ومن البديهيات أن التربية لاتقوم في فراغ وانما عمادها المجتمع ولقد عالج الراغب الأصفهاني هذه القضية من خلال معالجة السؤال التالي :-

الأول : ما صورة المجتمع الفاضل الذي يريده الراغب الأصفهاني ؟

وتفاصيل ذلك كما يلي :

١ - الانسان والمجتمع :

نظر الراغب الأصفهاني الى المجتمع نظرة أخلاقية ، فوجد أن فيه الأخيار والأشرار فأوجب على الانسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار فهي قد تجعل الشرير خيرا ، كما أن مصاحبة الأشرار قد تجعل الخير شريرا (١) .

قال الحكماء الانسان مدني بالطبع ، أي أنه يحتاج الى مجتمع كبير لتتم له السعادة الانسانية ويحتاج الى مصادقة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة " لافتقار بعضهم الى بعض في مصالح الدين والدنيا " (٢) ولأن اجتماع بعضهم مع بعض أمر ضروري لتعلق بعضهم ببعض" فحق الفاضل العاقل أن يجتمع مع العامة في ظواهر أحكام الشرع ، واقامة وظائف العبادات وانالتهم من الفضيلة بقدر الوسع ويترفع عن منزلتهم في المعارف والأخلاق

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

والأفعال الجميلة .(١)

وللإنسان في المعاشرة ثلاثة أحوال : أما أن يكون شكسا أي قاسي الطبع ، واما أن يكون ملقا سلس الطبع ، أو مساعدا أي تاركا للخلاف على مقتضى الفعل وهو المحمود ، وحق الانسان في المعاشرة أن يتقوى من جهة الفكر بالمطابقة في الكلام ، ومن جهة الغضب بالتحالم ، ومن جهة الشهوة بالجود ، وأن يتعرى من أضداد ذلك ، وأن يجامل المعاشرين والعاديين والمتشمتين ويصايرهم ويكاسرهم طمعا في رجوعهم اخوانا واتقاء من شرورهم حتى يكون ظريفا . فان الظرف عبارة عن استجماع آلة العشرة من الطلاقة ."(٢)

٢ ـ صورة المجتمع الفاضل :

ان المجتمع الفاضل عند الراغب الأصفهاني هو المجتمع الذي تسوده الفضائل الخلقية الاجتماعية مثل المحبة والصداقةوالعدالة والتعاون وغيرها لأنها تحقق الانسجام بين أفراده ليعيشوا فيه في وفاق ووئام وهذه الفضائل هي :

أ ـ المحبة :

يرى الأصفهاني أن المحبة هي"ميل النفوس الى ماتراه أو تظنه خيرا ."(٣) وهي أحد أسباب نظام أمور الناس فلو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

عن العدالة ، فقد قيل العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لاتوجد المحبة ، ولذلك عظم الله المنة بحصول المحبة بين أهل الملة فقال :﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ﴾ (١) ، وقال ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ (٢) أي محبة للقلوب تنبيها على أن ذلك أجلب للعقائد ،وهى أفضل من المهابة ، فان المهابة تنفر والمحبة تولف ، ولفضل وقوع المحبة شرع الله اجتماع أهل الملة الواحدة في مساجدهم خمس مرات لاقامة صلاتهم ، واجتماع أهل ملتهم في يلد كل أسبوع مرة في الجامع ، واجتماع أهل المدينة وأهل السواد* كل سنة مرتين في صلاة الأعياد في الأرض الفسيحة واجتماع الحجاج من جميع الأقطار الأسلامية في العمر مرة ليجتمع أنسهم وتكتمل محبتهم (٣) .

- والمحبة عند الأصفهاني تنقسم الى قسمين :

أحدهما : طبيعي وذلك في الانسان والحيوان ، ويغلب عليه اسم الألفة وقيل قد يكون بين الجمادات كالألفة بين الحديد وحجر المغناطيس .

والثاني : اختياري وذلك يختص به الانسان ، وينقسم هذا القسم الثاني الى أربعة أقسام :

---

(١) سورة الأنفال ، آية (٦٣).
(٢) سورة مريم ، آية (٩٦).
(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤
* من اقليم العراق .

- الأول : للشهوة وأكثر مايكون ذلك بين الأحداث .
- الثانى : للمنفعة ومن جهة مايكون بين التجار وأرباب الصناعات المهنية .
- الثالث : مايكون مركب من ضربين كمن يحب آخر للنفع ، وذلك يحبه للشهوة .
- الرابع : للفضيلة كمحبة المتعلم للعالم ، وهذه المحبه باقية على مرور الأوقات وهى المستثناه بقوله تعالى : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴾ (١)

وأما الأقسام الأخرى فقد تطول مدتها وتقصر بحسب دوام أسبابها ، لذا (٢) يرى الرغب الأصفهانى أن أفضل أنواع المحبه هى محبة المتعلم للعالم وهى المحبة التى تدوم وتبقى لحسن هدفها .

وأما العشق عند الأصفهانى فمحبة بافراط ، وذلك أما بحسب اللذة فيكون مذموما ، أو بحسب الفضيلة فيكون محمودا ، ولا يكون للنفع فان النافع يراد لغيره الفضيلة واللذة يرادان لأ نفسهما (٣) وأن محبة الزوجين بعضهما لبعض يبنى عليه اسرة سعيدة ومجتمع صالح متكامل .

ب - الصداقة :

" الصداقة صدق الاعتقاد فى المودة وذلك مختص بالأنسان (٤) والصديق محتاج اليه الانسان فى كل حال ، أماعند سوء الحال فيعاونونه ، وأما عند حسن الحال ، فليؤانسوه ، وليضع معروفه عندهم ، ومن ظن أنه يمكن الاستغناء عن صديق فمغرور ، ومن ظن أن وجوده سهل فمعتوه ، ولكثرة نفعه سئل حكيم عن الصديق فقال : هو آخر بالشخص ، الا آ نه أنت بالنفس ، ولعزة وجوده سئل آخر عنه فقال : هو اسم على غير معنى حيوان غير موجود ، فمن وجد اخوانا ذوا ثقة وجد بهم عيونا وآذانا وقلوبا كلها له فيرى الغائب بصورة

---

(١) سورة الزخرف ، آيــة (٦٧) .
(٢) الراغب الأصفهانى ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .
(٣) الراغب الأصفهانى فى المرجع السابق ص ٢٥٣ .
(٤) الراغب الأصفهانى ، المفردات فى غريب القرآن ، ص ٢٧٨ .

الشاهد ، واختيار من تركن اليه لتصادفه صعب اذ قد يتشيع لذلك الناقص فتظنه فاضلا ، فيكون كمن يحسن الشحم فيمن شحمه ورم."[1]

جـ ـ العدالـة :

العدالة لفظ يقتضي معنى المساواة ويستعمل فيما يدرك بالبصيرة من أحكام[2] ، وعلى ذلك قوله ﴿ أو عدل ذلك صياما ﴾[3] "واذا اعتبرت بالفعل فهي القسط القائم على الاستواء .

واذا وصف الله تعالى بالعدل فليس يراد به الهيئة وانما يراد به أن أفعاله واقعة على نهاية الانتظام ، والانسان في تحري فعل العدالة يكون تام الفضيلة اذا حصل مع فعله هيئة متنزهة لتعاطيه ، وقد يقع فعل العدالة من الانسان ولايكون ممدوحا به نحو أن يقصد توصلا الى نفع دنيوي أو خوف عقوبة السلطان.

ويرى الأصفهاني أن العدالة : هي الفضائل كلها من حيث لايخرج شيء من الفضائل عنها أو هي أجمل الفضائل من حيث أن صاحبها يقدر أن يستعملها في نفسه وفي غيره ، وهي ميزان الله المبرأ من كل زلة وبها يستتب أمر العالم ولذلك قال الله عز وجل ﴿ الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾[4] وقال

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٥٤.
(٢) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٢٥.
(٣) سورة المائدة ، آية (٩٥).
(٤) سورة الشورى ، آية (١٧).

﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ﴾[١] وعير عن العدالة بالميزان اذ كان من اثرها ومن أظهر أفعالها للحاسة .

ومن فضل العدالة أن كل نفس تتلذذ بسماعها وتتألم من ضدها .[٢] "

﴿ ويقسم الأصفهاني العدل الى قسمين :

- الأول : عدل مطلق يقتضي العقل حسنه ولايكون في شيء من الأزمنة منسوخا ولا يوصف بالاعتداء يوجه نحو الاحسان الى من أحسن اليك وكف الأذية عمن كف أذاه عنك .

- والثاني: عدل مقيد: يعرف كونه عدلا بالشرع ، ويمكن أن يكون منسوخا في بعض الأزمنة وذلك مقابلة السوء بمثله كالقصاص وأروش الجنايات واصل مال المرتد قال تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾[٣] فسمى اعتداء وسيئة .[٤]

والعدالة المحمودة عند الأصفهاني هي التي لايكون فيها رياء ولاسمعة ، ولارغبة ولا رهبة ، وانما تكون عن تحر للحق عن سجية والذي يجب أن يستعمل الانسان معه العدالة خمسة :

---

(١) سورة الرحمن ، آية (٧).

(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٣) سورة الشورى ، آية (٤٠).

(٤) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٢٥ .

- الأول : بينه وبين رب العزة بمعرفة أحكامه.
- الثاني : من قوى نفسه وهو أن يجعل هواه مستسلما لعقله فقد قيل أعدل الناس من أنصف عقله من هواه .
- والثالث : بينه وبين اسلافه الماضين في انفاذ وصاياهم ، والدعاء لهم.
- والرابع : بينه وبين معاملته من أداء الحقوق والانصاف في المعاملات من المبيعات والمقارضات .
- والخامس : بث النصيحة بين الناس على سبيل الحكم وذلك الى الولاة وخلفائهم.

وأما أحكام العدل في الأرض عند الأصفهاني فثلاثة ١- حاكم من الله تعالى وهو الكتاب الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ٢- والعامل والآمر به ، وهو كل وال عدل ٣- والناض المعتبر به وهو المال ،والناض من وجه كالحاكم ومن وجه كالآلة للحاكم يعتبر اذ قيس عمل بعمل . "(١)

د - التعاون :

الانسان لا تتم له الحياة بالانعزال لحاجته الى المساعدات الكبيرة ممن يعدله الأغذية والأدوية والكسوة والمنزل وغير ذلك من الأمور التي بعضها ضرورية في المعيشة وبعضها نافعة في تحسين العيش .

" ولما صعب على كل أحد أن يحصل لنفسه أدنى مايحتاجه اليه الا بمعاونة عدة رجال له ، فلقمة طعام لو عددنا تعب محصليها من الزراع

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥

والطحان والخياز وصناع آلتهـا لصعب حصره ، فلذلك احتاج الناس أن يجتمعوا فرقة فرقة ليتظاهروا[(١)] •

ولما كانت الحرف الانسانية كثيرة وليس في استطاعة الواحد القيـام بها جميعها " سخر الله كل واحد من كافتهم لصناعة مايتعاطاها ، وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خُفية ، واتفاقات سماوية ، يؤثر الواحد بعد الواحد حرفة من الحرف ينشرح صدره بملايستها ، وتطيعه قواه بمزاولتهـا ، فاذا جعل اليه صناعة أخرى فربما وجد متبلدا ومتبرما بهـا ، وقد سخرهـم الله تعالى لذلك لئلا يختاروا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الأقـوات والمعاونات ، ولولا ذلك لما اختاروا من الأشياء الا أحسنها ، ومن البـلاد الا أطيبهـا ، ومن الصناعات الا أنظفها ومن الأعمال الا أرفعها ، ولتناجزوا على ذلك ، ولكن الله تعالى بحكمته سخرهم لذلك ، فالناس اما راض بصنعتـه لايريد عنها حولا – واما كاره لها يكابدها مع كراهيته اياها كأنه لايجدلهـا ترتيلا – فالتباين والتفرق والاختلاف في نحو هذا الموضع سبب الالتئـام والاجتماع والاتفاق ، كاختلاف صور الكتابة وتباينها وتفرقها التي لولا هـا لما حصل لها نظام "[(٢)]

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٦٢ •

(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ •

الفصل الثامن

* مفهوم العلم عند الراغب الأصفهاني *

—x—x—

* تعريف العلم عند الراغب الأصفهانى .

١ – اعتبار الجهل مرض علاجه العلم .

٢ – الوسيلة الى العلم .

٣ – أنواع العلوم .

٤ – أسس تفاضل العلوم .

٥ – فوائد العلم والتعليم .

* تعريف العلم عند الأصفهاني :

عرف الأصفهاني العلم بأنه ادراك الشيء بحقيقته ، وقسمه بهذا المعنى الى قسمين : أحدهما ادراك ذات الشيء ، والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه "(١).

وقسم العلم من وجه آخر الى قسمين :"نظري وعملى فالنظري ما اذا علم كفى ولم يحتج بعده الى عمل كمعرفة وحدانية الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومعرفة السموات وما أشبه ذلك .

والعملي : ما اذا علم لم يغن حتى يعمل به كمعرفة الصلاة والزكاة والجهاد والصوم والحج وبر الوالدين"(٢).

والعلوم من حيث الكيفية تنقسم الى قسمين ": تصور وتصديق . فالتصور هو أن يعرف الانسان معنى الشيء صح عنده ذلك بدلالة أو لم يصح . والتصديق هو أن يتصور الشيء ويثبت عنده بدلالة تقتضي صحته"(٣).

ويرى الأصفهاني أن الانسان معدن الحكمة والعلوم وهي مركوزة فيه مجعولة بالفطرة له وبالقوة كالنار في الشجر ، والنحل في النواه والذهب في

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٤٣ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٧٦ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٧٨ .

الحجارة ، وكالماء تحت الأرض ، لكن لا يتوصل اليه الا بدلو ورشاء ومنه ماهو كامن يحتاج في استنباطه الى حفر وتعب شديد فان عني به أدرك والا بقي غير منتفع به ، كذا العلم في نفوس البشر منه مايوجد من غير تعلم بشري ،وذلك كحال الأنبياء ، فانهم تفيض عليهم المعارف من جهة الملأ الأعلى ، ومنه ما يوجد بأدنى تعلم ، ومنه ما يصعب وجوده كحال عوام الناس .(١)

واذا كان الأصفهاني يؤكد على أن العلم يوجد في نفس الانسان بالفطرة فان الذي يقصده بالعلم في هذه الحالة هو الدين ، أو الاقرار بوجود الله ، وفي هذا يقول ولكون العلوم مركوزة في النفوس ، قال تعالى : ﴿ واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ﴾(٢) فأقروا أن الله هو الذي يربيهم ويغذيهم ويرزقهم ويكملهم من الطفولية فهو اقرار نفوسهم كلهم بما ركن في عقولهم ، فأما الاقرار باللسان فلم يحصل من كلهم، وكذا المعنى بقوله : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾(٣) أي لئن اعتبرت أحوالهم لكانت نفوسهم وجوارحهم تنطق بذلك ، وعلى ذلك قوله : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾(٤) فبين أن الدين الحنيف هو المستقيم

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٣٧ – ١٣٨.
(٢) سورة الأعراف ، آية (١٧٢).
(٣) سورة الزخرف ، آية (٨٧).
(٤) سورة الروم ، آية (٣٠).

قد فطر الناس عليه أي خلقهم عالمين به ، فان المعاندين وان قصدوا تبديله وازالة الناس عنه لم يقدروا عليه وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾ (١) وقال فيمن قويت في قلوبهم الفطرة والصبغة : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الايمان ﴾ (٢) فسمى ذلك كتابا وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة " (٣) وهذه الشهادة المأخوذة عليهم تبعا لذلك فان الناس ينقسمون الى قسمين (١) قسم فكروا وأجالوا خواطرهم حتى أدركوا حقيقة الشهادة فنسوها ثم تذكروها ولذلك قال الله تعالى في غير موضع ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ (٤) ﴿ وليذكر أولوا الألباب ﴾ (٥)

(٢) وقسم أهمل نفسه ولم يشتغل يتذكره ما حمل كما قال تعالى ﴿ واذا ذكروا لايذكرون ﴾ (٦) فهم في الجهالة يتسكعون ، وعلى هذا حثنا الله تعالى على الذكر بقوله ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ﴾ (٧) ، وقال ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ (٨) أي يسرنا القرآن ليكون سببا أن تتوصلوا به الى تذكر ما سبق من عهدكم.

ويرى الأصفهاني بأن التذكر على أنواع مختلفة :

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٣٨).
(٢) سورة المجادلة ، آية (٢٢).
(٣) العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٣، (دار المعرفة ، بلا تاريخ) ، ص ٢٤٦.
(٤) سورة البقرة ، آية (٢٢١).
(٥) سورة ابراهيم ، آية (٥٢).
(٦) سورة الصافات ، آية (١٣).
(٧) سورة المائدة ، آية (٧).
(٨) سورة القمر ، آية (١٧).

- الأول : أن يكون باللسان عن صورة ماحصل في القلب .
- الثاني : أن يكون في القلب كصورة حصلت عن شيء معهود اما من البصر واما من البصيرة أو غيره من المشاعر.
- والثالث : أن يكون عن صورة مضمنة بالفطرة في الانسان .

ويستدل الأصفهاني على ذلك كله بقول الحكماء : التعليم ليس بجلب اللسان شيء من خارج في الحقيقة ، وانما يكشف الغطاء عما حصل في النفس فيبرزه ، فمثله كمثل الحافر المستنبط الماء من تحت الأرض ، وكالصقيل الذي يبرز الجلاء في المرآة ، وهذا ظاهر لمن نظر بعين عقله (١) وانطلاقا من هذا المفهوم للعلم ناقش الأصفهاني مايلي :

١ - اعتبار الجهل مرض علاجه العلم :

الانسان في الجهل على أربعة منازل :

- الأول :

"من لايعتقد اعتقادا لا صالحا ولا طالحا ، وأمره في ارشاده سهل اذا كان طيعا . فانه كلوح أبيض لم يشغله نقش ، وكأرض بيضاء لم يلق فيها بذر ، ويقال له باعتبار العلم النظري عاقل ، وباعتبار العلم العملي غمر ، ويقال له سليم الصدر .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

- والثانـــي :

معتقد لرأي فاسد ، لكنه لم ينشأ عليه ، ولم يترب به ، فاستنزالـــه عنه سهل وان كان أصعب من الأول ، فانه كلوح يحتاج الى حذف وكتابة ،وكـأرض تحتاج الى قلع وزراعة ويقال له : غاو وضال ·

- والثالـــث :

معتقد لـــرأي فاسد قدر أنه قد تراءت له صحته فركن اليه بجهلـــــه وضعف بصيرته ، فهومعن وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ ان شر الدواب عند اللـه الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ (1) لا سبيل الى تنبيهه وتهذيبه كما قيـــل لحكيـم يعظ شيخا جاهلا : ماتصنع ؟ فقال : أغسل مسحا ان ابيض · (2)

- والرابـع :

" معتقد اعتقادا فاسدا عرف فساده وتمكن من معرفته ، لكنه اكتسب دنية لرآسه ، وكرسيا لرياسته فهو محامي عليها فيحاول بالباطل ليدحض به الحق ، ويذم أهل العلم ليجر الى نفسه الخلق ويقال له فاسق ومنافق وهو مـــن الموصوفين بالاستكبار والتكبر · (3) "

---

(1) سورة الأنفال ، آيـة (٢٢)·

(2) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٣١ – ١٣٢ ·

(3) الراغب الأصفهانى ، المرجع السابـق ص ١٣٢ ·

٢ - الوسيلة الى العلم :

يرى الأصفهاني أن الوسيلة التي يمكن أن يتعلم العلوم بها تنقسم الى[1] أربعة أنواع :

- الأول :

المستفاد من بديهة العقل ومصادقة الحس ، وذلك لكل من لم يكن مفقود الآلة ، وان اختلفت أحوال الناس في ذلك .

- الثاني :

المستفاد من جهة النظر اما بمقدمات عقلية أو بمقدمات محسوسة .

- الثالث :

المستفاد من خبر الناس ، اما بسماع من أفواههم أو بالقراءة في كتبهم ولايكون الخبر علما الا ماكانت المظنة عن مخبريه مرتفعة .

- الرابع :

ما كان عن الوحي .

فهناك اذا ما هو بديهي في العقول نتيجة لما يستفيده الانسان من تجاربه الحسية المختلفة في الحياة فالحواس من حيث السمع والبصر والشم والذوق واللمس يمكن أن تقدم المقدمات المحسوسة ومن ثم يبنى عليها العقل

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤١ .

مقدماته والتأمل في هذا يوصل الى العلم. كما يمكن تحصيل العلم عن طريق الاطلاع أو سماع الأخبار من الغير . وفوق هذا كله فهناك طريق الوحي وما يأتي به من علم منزل على من يختاره الله. وكل من العقل والشرع انما كان لهداية الخلق الى الحق. وهما متعاونان يفتقر أحدهما الى الآخر ولايستغني عنه فالعقل لن يهتدى الا بالشرع والشرع لايتبين الا بالعقل (١) ". فالرسل (٢) والأنبياء يظهرون للعيان ، أما "رسول" الباطن فهو العقل ، ولاسبيل لأحد للانتفاع "بالرسول" الظاهر مالم يتقدمه الانتفاع بالباطن - فالمعقولات تجرى مجرى الأدوية الجالبة للصحة والشرعيات تجرى مجرى الأغذية الحافظة للصحة. (٣)

والانسان عند الأصفهاني لم يتميز عن البهائم الا بالعقل ولم يشرف الا بالعلم " فمقتضى الحياة الانسانية أنها تعرت من المعارف المختصة بها الا يعتدبها ولذلك سمى الله تعالى الجاهل ميتا في غير موضع من كتابه فقال : ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه ﴾ (٤) ولأجل أن الحياة تقارن العلم سمى الله تعالى العلم روحا في قوله ﴿ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ﴾ (٥) وحاجة الانسان الى العلم أكثر من حاجته الى المال ، لأن العلم نافع لامحالة ونفعه دائما في الدنيا والآخرة ، والمال قد ينفع وقد يضر واذا نفع فنفعه

---

(١) حسان محمد حسان / نادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية ، ص ٢٤٨ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٦٣ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٢٤ .

(٤) سورة الأنعام ، آية (١٢٢).

(٥) سورة الشورى ، آية (٥١).

منقطع ، ومن استفاد علما ثم ضيعه ، أو تمكن من استفادته فأهمله فقد خسر خسرانا مبينا[(١)] كما قال تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآيتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾[(٢)] .

وتنعكس نظرة الأصفهاني الى العلم على مراتب الناس في الحياة كما تظهر أهمية العلم في جعله اياه أساسا للتفاضل فالناس ينقسمون الى قسمين:

أ ـ خاص :

وهم من قد تخصص من المعارف بالحقائق دون التقليدات ، ومن الأعمال ما يتبلغ به الى جنة المأوى ، دون ما يقتصر به على الحياة الدنيا.

ب ـ عام :

وهم الذين يرضون من المعارف التقليدات ومن أكثر الأعمال بما يؤدي الى منفعة دنيوية .

واذا اعتبر العلم بأمور الدنيا فالخاص : ما يتخصص بأمور البلد مما ينحرم من افتقاده احدى السياسات المدنية ، والعام مالا ينحرم

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٠١ .
(٢) سورة الأعراف ، آية (١٧٥ ـ ١٧٦).

من افتقاد شيء منها .(١)

ويجعل العلم أيضا أساسا للتفاضل بين الناس حيث يقسم الناس على هذا الأساس الى ثلاثة أقسام ، فالانسان اما ملكي ، أو شيطاني ، أو انسي .

أ ـ فالملكي ، الذي يستعمل القوة العاقلة بقدر جهده ، وهم المؤمنون حقا .

ب ـ والشيطاني ، الذي يستعمل القوة الشهوية من غير تلفت الى مقتضى العقل .

جـ ـ والانسي ، الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وهم المذكورون في قوله تعالى ﴿ فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ﴾(٢) وهو المؤمن والفاسق والكافر.(٣)

٣ ـ أنواع العلوم :

العلوم عند الراغب الأصفهاني مقسمة الى ثلاثة أنواع :

ـ الأول :

نوع يتعلق باللفظ : ويقصد به تحصيل الألفاظ بوسائط المعاني . وهو ينقسم الى قسمين أحدهما : حكم ذوات الألفاظ وهو علم اللغة ، والثاني: حكم لواحق الألفاظ وذلك شيئان :

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٨٩ .

(٢) سورة الواقعة ، آية (٨٨ ـ ٩٤).

(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٩٠ .

- شيء يشترك فيه النثر والنظم وهو علم الاشتقاق وعلم النحو وعلم التصريف .
- وشيء يختص به النظم وهو علم العروض وعلم القوافي[(١)] .

- الثاني - المتعلق باللفظ والمعنى وهو خمسة أقسام :

-x- الأول - علم البراهين :

والبرهان بيان للحجة وهو أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبدا لامحالة ، وذلك أن الأدلة خمسة أضرب : " دلالة تقتضي الصدق أبدا ، ودلالة تقتضي الكذب أبدا ، ودلالة الى الصدق أقرب ، ودلالة الى الكذب أقرب ، ودلالة هي اليهما سواء "[(٢)] .

-x- الثاني - علم الجدل :

الجدال ، المفاوضة على سبيل المنازعة ، والمغالبة[(٣)] والمتجاد لان يجريان مجرى فحلين تعاديا وكيشين تناطحا ، ورئيسن تحاربا وكل واحدمنهم يجتهد أن يكون هو الفاعل ، وصاحبه المنطبع والقائل ، كالمؤثر والسامع كالمتأثر ولم يتولد فهما خير يوجه ، وقال حكيم : المجادل المدافع يقع في نفسه عند الخوض في الجدال أن لايقنع بشيء ، ومن لايقنعه الا أن لايقنع فما الى اقناعه سبيل[(٤)] .

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ١٤٠ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٤٥ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٨٩ .
(٤) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٦٥ .

وللجدال مع كونه مكروها شروط وقوانين من تعاطاه. ولم يكن متدربا فيها كان خصيما جدلا ، والخصومة عديمة الفائدة قليلة العائدة ، فان الجدل مع ما فيه قد يوقظ الفهم ، ويثير الأنفه لاقتياس العلم . أما الخصومة فلا تثمر الا العداوة.(١)

-x- الثالث ـ علم الخطابة :

ومنه الخطبة وهي تختص بالموعظة(٢) فحق الواعظ أن يكون له مناسبة الى الحكماء يستطيع منها الاقتباس منهم والاستفادة عنهم ، ومناسبة الى الدهاة يستطيعون بها الأخذ منه .(٣)

-x- الرابع ـ علم البلاغة :

البلاغة تقال على وجهين أحدهما أن يكون بذاته بليغا وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف صوابا في موضع لغته ، وطيقا للمعنى المقصود به وصدقا في نفسه . والثاني ، أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له وهو أن يقصد القائل أمرا فيرده على وجه حقيق أن يقبله المقول له .(٤)

-x- الخامس ـ علم الشعر :

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ١٦٤ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ١٥٠ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٥٩ .
(٤) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٦٠ – ٦١ .

- الثالث - المتعلق بالمعنى وينقسم الى قسمين :

-x- القسم الأول - علمي :

وهو ما يقصد به أن يعلم فقط وهو معرفة الباري تعالى ، ومعرفة النبوة ، ومعرفة الملائكة ، ومعرفة يوم القيامة ، ومعرفة العقل ، ومعرفة النفس ، ومعرفة مباديء الأمور ، ومعرفة الأركان ، ومعرفة الآثار العلوية من الفلك والنيرين والنجوم ، ومعرفة طبائع النبات ، ويقال له علم الفلاحة ، ومعرفة طبائع الحيوانات ، ومعرفة طبائع الانسان ، ويقال له علم الطب ." (١)

-x- القسم الثاني - عملي :

فهو ما يجب أن يعلم ، ثم يعمل به فيسمى تارة السنن والسياسات ، وتارة الشريعة ، وتارة أحكام الشرع ومكارمه ، وذلك حكم العبادات ، وحكم المعاملات ، وحكم المطاعم ، وحكم المناكح ، وحكم المزاجر ." (٢)

والعلم على العموم عند الأصفهاني نافع في الدنيا والآخرة ، ولهذا كانت حاجة الانسان الى العلم أكثر من حاجته الى المال الذي قد يضر أو ينفع أما العلم فنفعه دائما ولهذا يقع اللوم على من استفاد علما وضيعه اذ أن في ذلك الخسران المبين . (٣)

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٠ - ١٤١ (٢) الراغب

(٣) حسان محمد حسان : نادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية ، ص ٢٥١ .

وبناء على ماسبق يمكن القول بأن طلب العلم لابد منه والاجتهاد الدائم في طلبه من الأمور الواجبة المستحبة لكي لاينساه. والعلم المقصود هنا اما علم علمي أو ما يمكن تسميته بالنظري ، وهو المتعلق بالعقائد ومبادئ الطبيعة المتعلقة بالكون ومايرتبط أيضا منها بالانسان كالطب .

والنوع الثاني من العلوم وهو العملي أو التطبيقي وهذا مايتعلق بمجريات حياة الانسان في الدنيا من حيث سياسة الراعي للرعية أو سياسة الانسان نفسه (١).

٤ - أسس تفاضل العلوم :

فضيلة العلم عند الأصفهاني (٢) تعرف بشيئين :

الأول : شرف ثمرته .

الثاني : وثاقة دلالته .

وذلك كشرف علم الدين على علم الطب فان ثمرة علم الدين الوصول الى الحياة الأبديه وثمرة علم الطب الوصول الى الحياة الدنيوية وعلم الدين أصوله عن الوحي، والطب أكثر أصوله من التجارب ، والعلوم المتعلقة بالحياة الدنيا عند الأصفهاني يتقدم بعضها بعض في الفضل كالطب مع الحساب ، فللطب شرف الثمرة ، اذ هو يفيد صحة البدن ، وللحساب وثاقة دلالة اذا كان العلم به ضروريا غير مفتقر الى التجربة ، ويؤكد الأصفهاني أنه لابد من أن نفرق بين العلم ومن يشتغلون به ولا ننسب ذلك للعلم ولايقلل من شرفه" وليس يجب أن يحكم بفساد علم لخطأ وقع من أربابه كصنيع العامة اذا وجدوا من أخطأ في مسألة حكموا حكمه ،

(١) حسان محمد حسان ، ناديه جمال الدين ، المرجع السابق ص ٢٥١ .
(٢) الراغب الأصفهانى الذريعة الى مكارم الشريعة ص ١٤٢ .

وعلى صناعته بالفساد "واذا رءوا من أصاب في مسألة حكموا على صناعته بالصحة ، وذلك عادتهم في الطب والتنجيم ، فيحكمون على الصناعة بالصانع ويستشهد بقول علي رضي الله عنه (ياحار الحق ملبوس عليك الحق ، لايعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله).

وليس يدرون أن الصناعة مبنية علي شيء روحاني ، والمتعاطي لها يباشرها بجسم وطبع يضامها العجز خليق بوقوع الخطأ منه ." (٢)

٥ - فوائد العلم والتعليم عند الراغب الأصفهاني :

حدد الراغب الأصفهاني للعلم فوائد هي :

أ - العلم يرفع من مكانة المتعلم :

ويستشهد الأصفهاني ببعض الشواهد مثل قول الله عز وجل ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (٣) ، فالله سبحانه وتعالى قد أشار الى العلماء بصفة خاصة بأنهم أشد خشية لله من غيرهم فالخشية انما تأتي عن طريق المعرفة ومن عرف الله بالطريقة التي كان يخشاه معها لابد وأن يكون قد بلغ من الايمان مبلغا عظيما ومن اليقين مرتبة عالية . (٤)

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٢ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ١٤٣.

(٣) سورة فاطر ، آية (٢٨).

(٤) أمين صالح كشميري ، عثمان أحمدعبدالوهاب ، (العلوم الطبيعية في ضوء المنهج الاسلامي ، بحث مقدم لندوة الخبراء التربويين المنعقدة في مكة ، ١٤٠٠هـ) ، ص ٢.

وقال الامام أبو حنيفة : (ان لم يكن العلماء أولياء الله في الأرض فليس لله فيها ولي) ، وقول الأحنف : (كل عز لم يؤيد بعلم فالى ذل يصير. وقيل العلم يوطئ الفقراء بسط الملوك و قيل : من نهض به أدبه لم يقعده حسبه . وقيل شرف الحسب يحتاج الى شرف الأدب وشرف الأدب مستغن عن شرف الحسب. وقال الأحنف : من لم يكن له علم ولا أدب لم يكن له حسب ولا نسب

وقال الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ∴ يغنيك محموده عن النسب

ونظر عمر رضي الله عنه الى رجل في هيئة نفية فقال ألست ابن قيس بالبصرة قال نعم ولكني كاتب فقال لله در العلم مازال يرفع أهله .

قال الشاعر :

العلم يرفع بالخسيس الى العلا ∴ والجهل يقعد بالفتى المنسوب

قال أمير المؤمنين علي : قيمة كل امرئ ما يحسنه ، قال عبد الملك اطلبوا معيشة لايقدر سلطان جائر على غصبها قيل ماهي قال الأدب .

وقال صالح بن عبد القدوس :

قد يجمع المرء مالا ثم يسلبه ∴ عما قليل فيلقى الذل والحربا

وجامع العلم مغبوط به أبدا ∴ فلا يحاذر منه الفوت والطلبا

وقيل العلم ميراث غير مسلوب وقريب غير مغلوب .(١)

---

(١) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء.

ب ـ العلم والتعليم قد يورث صاحبه الزهد :

يرى الأصفهاني أن العلم يهذب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة فهو يزهد في الدنيا الضارة ويرغب في الآخرة السارة ومن الشواهد التي ذكرها على ذلك أن حكيم دخل دار رجل خلو من العلم فرأى أثاثا وهيئة فاخرة وأراد الرجل الداخل أن يبزق بزقة فبزق في وجه الرجل فقيل له ماتفعل قال : نظرت فلم أجد في هذه الدار أخس منه لخلوه من المعاني الفاضلة وانما يرمي بالبزاق الى أخس المواضع ولذلك رميت به في وجهه (١) ٠

فاذا اقترن الزهد والعلم فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة وثمرة الزهد العبادة وهي قسمان علم وعمل وحقهما أن يتلازما لأن العلم كالأس والعمل كالبناء وكما لايغنى أس مالم يكن بناء ولايثبت بناء مالم يكن أس كذلك لايغني علم بغير عمل ولاعمل بغير علم (٢) ٠

وللمتعلم عند الأصفهاني في حال استفادته من العلوم وافادة غيره أربعة (٣) أحوال: الأول (حال استفادة) ، والثاني (حال استبصار) ، والثالث (حال تحصيل) والرابع (حال تبصر وتعلم)٠

ولشرح هذه الأحوال يرى الأصفهاني أن هناك من يستفيد علما وينتفع به وينفع مستحقيه وهذا يشبه الشمس التي تضيء لغيرها وهي مضيئة والمسك الذي تنتشر رائحته الزكية للناس وهو زكي الرائحة وهذا أشرف المنازل أو الأحوال٠

(١) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ص ١٣٠

(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٠٣ ٠

(٣) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ ٠

أما الحالية أو المنزلة التالية فهي حالة من استفاد علما واستبصر به . أما من أفاد علمه غيره ولم ينتفع هو به فانه يكون كالكتاب يفيد غيره الحكمه وهو يفتقدها . وكالمِسَن يُحَدّو لايقطع ، والمغزل يَكْسُو ولايُكْسى وكذبالة المصباح تحرق نفسها وتضيء لغيرها .

وآخر الأحوال لهؤلاء هي حالة من استضاء علما ولم ينتفع هو به ولانفع غيره فانه يصدق فيه قول الشاعر :

كالنحل يشرع شوكا لايذوّبه ∴ عن حمله كف جان وهو منتهب (١)

جـ - العلم والتعليم لذة للمتعلم :

استدل الأصفهاني بقول " أبي حنيفة رحمه الله اذا أخذته هزة المسألة يقول أين الملوك من لذة ما نحن فيه لو فطنوا لقاتلونا عليه .

وقيل : من خلا بالعلم لم توحشه الخلوه ومن تسلي بالكتب لم تفتنه السلوه . " (٢)

واللذة العقلية عند الأصفهاني هي أفضل اللذات وهي التي يختص بها الانسان كلذة العلم والحكمة . (٣)

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص - ١٤٩ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ص ١٣ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٢٠٣ .

د - العلم والتعليم نسب للمتعلم :

يستشهد الأصفهاني بالنوفلي والصولي أن العلم نسب للمتعلم فيقول :

" قيل للنوفلي مابلغ من شهوتك للعلم قال : اذ نشطت فلذتي واذا اغتنمت فسلوتي .

وقال الصولي :

ان الكتابة والآداب قد جمعت .. بيني وبينك يازين الورى نسبا

وقيل لا ينبغي للأديب أن يخالط من لا أدب له كما لا ينبغي للصاحي أن يناظر السكران (١) . "

ه - مدح صيانة العلم :

استشهد الأصفهاني ببعض الأدلة التي تبين أهمية صيانة العلم ومن هذه الأمثلة أن الخليفة العباسي الرشيد عندما وجه الى مالك بن أنس رحمه الله ليأتيه فيحدثه فقال مالك ان العلم يؤتى فصار الرشيد الى منزله فاستند معه الى الجدار فقال ياأمير المؤمنين من اجلال الله تعالى اجلال العلم فقام فجلس بين يديه وبعث الى سفيان بن عيينه فأتاه وقعد بين يديه فحدثه فقال الرشيد بعد ذلك يامالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم تنتفع به (٢) .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، تهذيب واختصار ابراهيم زيدان ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

وقال لقمان لابنه صن علمك فوق صيانة نفسك .

وللقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني :

ولم أبتذل في خدمة العلم بهجتي ∴ لا خدم من لاقيت لكن لأخدما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ∴ ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ∴ محياه بالاطماع حتى تجهما (١)

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

الفصل التاسع

* واجبات المعلمين والمتعلمين عند الراغب الأصفهاني *

-x-x-

أولا : واجبات المعلمين

ثانيا : واجبات المتعلمين

بحث الراغب فيما يجب أن يكون عليه العاملون في ميدان التربية والتعليم وما يجب أن يكون عليه المتعلمون وحددها فيما يلي :

أولا – واجبات المعلمين : لقد حدد الراغب بعض الشروط الواجب توفرها فى المعلمين ولعل من أهمها :-

١ – يجب على المعلم الشفقة على المتعلمين ، وأن ينزلهم منزلة أولاده بما تقتضيه الأبوة من رحمة وعطف وحنان وتقدير " فانه في الحقيقة أشرف من الأبوين ، كما قال الاسكندر وقد سئل عنه أمعلمك أكرم عليك أم أبوك؟ قال بل معلمي لأنه سبب حياتي الباقية ووالدي سبب حياتي الفانية ، وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله : " انما أنا لكم مثل الوالد لولده "(١) فحق معلم الفضيلة أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم اذ هو في ارشاد الناس خليفته فيشفق عليهم أشفاقه ويتحنن عليهم تحننه(٢) كما قال تعالى في وصفه عليه الصلاة والسلام : ﴿ حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾(٣) .

ان التربية الحديثة تدعو الى الشفقة على التلاميذ ، فواجب المربي أن ينظر الى تلاميذه نظرته الى أبنائه ، ويفكر فيهم وفي وقتهم ومستقبلهم كما يفكر في أولاده ، ويعمل على افادتهم والنهوض

---

(١) الحديث رواه أبوداود فى الطهارة جا ص ٣ والنسائى فيها خا ص٣٨ وابن ماجه فيها ايضا ج ١ ص ١١٤

(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٥١ .

(٣) سورة التوبة ، آية (١٢٨) .

بهم ويعاملهم معاملة كلها عطف ورأفة .

ويجب أن يحبهم محبته لأبنائه ، ويفكر فى أولاده ولا تنتظر من أبنائك وبناتك الكمال اذا كنت كاملا ، ولا تنتظر منهم التحلى بالأخلاق الكريمة الا اذا تحليت بها .

وأن المعلم مهما يكن متينا فى مادته ، عالما بقواعد التربية لا ينجح فى مهنته الا اذا كان رحيما بالمتعلمين ، وامتلأ قلبه بحبهم والعطف عليهم وأن المعلم الذى لا يعطى تلاميذه قلبه ، محال أن يعطيه التلاميذ قلوبهم "(١)

وأن " الشدة مع المتعلم تخلق عنده أشياء غاية فى القبح وأولها التضييق على النفس فى انبساطها والذهاب بنشاطها فيدعو ذلك المتعلم الى الكسل ويحمله على الكذب والخبث والتغير يغير مافى ضميره أى النفاق والمكر والخديعة وبذلك تفسد المعانى الانسانيه التى وضعها من الاجتماع والتمرن وتضعف نتيجة لذلك شخصية المتعلم ، وأكثر من ذلك أن الشدة تودى بالانسان الى الانصراف عن الغاية من التعليم التى وضعها بصفة عامة وهى الفضيلة . "(٢)

---

(١) محمد عطيه الأبراشى ، التربية الأسلاميه وفلاسفتها ، ص ١٣٧ .

(٢) حسين عبدالله بانبيلة – ابن خلدون وتراثه التربوى ط ١ (دار الكتاب العربى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) ص ٩٣ .

٢ ـ ألا يطلب على العلم أجرا ، ولايقصد به جزاء ولا شكورا ، وأن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يطلب على افادة العلم أجرا ولايقصد به جزاء ولا شكرا ، بل يعلم لوجه الله تعالى ، وطلبا للتقرب اليه فلايطمع في فائدة من جهة من يفيده علما ثوابا لما يوليه ـ وذلك أن الله تعالى جعل المال خادما للطعام ، والملابس جعلها خادمه للبدن وجعل البدن خادما للنفس ، وجعل النفس خادما للعلم ، فالعلم مخدوم غير خادم ، والمال خادم غير مخدوم (١) .

ونأخذ على الأصفهاني ما يعيبه على المعلم من أخذ الأجر على التعليم ، فهذا من الآراء المثالية التي لاتتفق مع الواقع وهذا يختلف عن رأي بعض المربين المسلمين مثل القابسي (٢) .

ونعتقد أن هذا كان المثل الأسمى لدى المربين الأولين في العصور الذهبية للاسلام ، وكان من الممكن التعليم بغير أجر ابتغاء وجه الله ، لأن كل معلم كان يحترف حرفة أخرى غير مهنة التدريس ، كي يستعين بعمل يده على كسب معيشته ومعيشة أسرته ، وقد احتج علماء الاسلام قديما حينما عينت لهم أجور يتقاضونها أما اليوم فأصبحت مهنة التعليم مهنة قائمة بذاتها ووسيلة لكسب العيش والمدرسون مطالبون بكثير من المال لمواجهة الحياة في نفقات البيت والأسرة والأولاد .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٥٤ .
(٢) محمد فؤاد الأهواني ، التربية في الاسلام ، ص ٢٣٨ .

واننا لا ننتظر من مدرسي اليوم أن يعملوا من غير أجر ولكننا ننظر منهم شيئا واحدا هو الاخلاص في عملهم ، لارضاء الله وارضاء ضمائرهم والمحافظة على مستقبل تلاميذهم وأوقاتهم ، ونرجو ألا نسمع منهم " اننا نعطي ولا نأخذ " فليست مهنة التعليم مهنة تجارية ولكنها مهنة الأنبياء والرسل عليهم السلام يعملون للتقرب الى الله ، ولاينظرون جزاء ولاشكورا ، ولا يطلبون الأجر الا من الله (١) كما قال عز وجل: ﴿ ياقوم لا أسألكم عليه مالا ، ان أجري الا على الله ﴾ (٢) .

٣ - أن لايدع من نصح المتعلم شيئا ويزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريقة التعريض ، ما أمكن ولايصرح وبطريقة الرحمة لا بطريق التوبيخ ، والتعريض أبلغ من التصريح لوجوه :

- أحدها : أن النفس الفاضلة لميلها الى استنباط المعاني تميل الى التعريض .
- الثاني : ان التعريض لاتنتهك فيه حجاب الهيبة ، ولايرتفع به ستر الحشمة أما التصريح فانه يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرءة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الاصرار.
- الثالث : أن ليس للتصريح الا وجه واحد وللتعريض وجوه فمن هذا الوجه يكون أبلغ .

---

(١) محمد عطية الأبراشي ، التربية الاسلامية وفلاسفتها ، ص ٢٤٩ .
(٢) سورة هود ، آية (٢٩).

- الرابع : أن للتعريض عبارات مختلفة فيمكن ايراده على وجوه مختلفة والتصريح ليس له الا عبارة واحدة.
- الخامس : ان صريح النهي داع الى الاغراء.(١)

واننا نعتقد أن المربي في التربية ناصح مرشد ينصح للمتعلم متى سنحت الفرصة للنصيحة ، ويرشده عند الحاجة الى الارشاد ويساعده عند الحاجة الى المساعدة ، والا يترك من نصحه شيئا ، وأن يعمل كل وسيلة لتربيته وتهذيبه وتثقيفه.

والحق أن الأصفهاني في رأيه السابق يسير وفق مايراه علماء الأخلاق وعلماء النفس ، وعلماء التربية ، في معاملة المتعلم اذا أخطأ فالاشارة في النصح خير من العبارة ، والتلميح خير من التصريح والنصيحة على انفراد مع الرحمة تجدي أكثر من التوبيخ صراحة أمام أخوة الطفل أو زملائه ، فالطفل حينما يشعر بالقسوة وبتوبيخه يريد أن يظهر شخصيته ، فيعارض ما يقال له ، ويخالف مايعرض عليه ولايبالي بمن ينصحه ، ويصر على وجهة نظره ، لأن الانسان مولع بحب الأشياء التي يمنع من فعلها.(٢)

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص١٥٣.
(٢) محمد عطية الأبراشي ، التربية الاسلامية وفلاسفتها ، ص٢٥٠.

٤ - أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى اليه مالا يبلغه عقله أو يخبط عليه عقله • ويكون كالطبيب الحاذق يصنع دواءه حيث يعلم أنه ينفع [١] وأن مراعاة الفروق الفردية في التعليم والاقتصار بالتلاميذ على قدر أفهامهم من المبادئ التي تنادي بها التربية المعاصرة •

والحق أن الأصفهاني في هذا الرأي قد سبق فلاسفة التربية الحديثة بقرون كثيرة وهو متأثر بنصيحة خير المرسلين وأعظم المرشدين للعالم كافة حيث قال : " نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم " [٢] وهذا خير مبدأ ننادي به في التربية الحديثة في القرن العشرين وقد سبق محمد بن عبدالله ، رسول الله صلى الله عليه وسلم - المربين جميعا في رأيه منذ قرون كثيرة • [٣]

ويرى الأصفهاني أنه :

من حق المعلم أن ينتقي طلاب علمه الذين يقربهم اليه ويمنحهم مالديه أو بعضه من علم وحكمة فالأفراد يختلفون فيما بينهم وبالتالي يختلف طلاب العلم بعضهم عن بعض حيث تجد من هو أقدر على حمل أمانة العلم وتحملها دون غيره ومن هنا فالأصفهاني يحذر من بذل العلم الى من لايستطيع حمله ولايملك القدره على الاستفادة منه لنقص في قدراته

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٥٥ •

(٢) الحديث رواه مسلم في مقدمة صحيحه ص ٥٥ وانظر المقاصد الحسنه ص ٩٢ •

(٣) محمد عطية الأبراشي ، التربية الاسلامية وفلاسفتها ، ص ٢٥١ •

اذ يقرر " أن من شرع في حقائق العلوم ولم يبرع فيها تولدت له الشبهة وكثرت فيصير ضالا مضلا فيعظم على الناس ضرره بهذا السبب وقيل : نعوذ بالله من نصف متكلم "[(١)] .

أما كيفية انتقاء المعلم لطلابه فانه يكون بأن يلقى علمه للعامة على العموم شريطة أن يتقيد فيه بقيد الشرع ويقتصر فيما يعطيه على قدر ما يمكن هؤلاء العامة من اتباع ما يأمرهم الشرع به وأن يملأ نفوسهم بالرغبة والرهبة الواردة في القرآن الكريم ولايولد لهم الشكوك . فاذا تصادف أن تولدت الشبهة عند أحدهم وتاقت نفسه الى معرفة حقيقتها واتجه الى معلمه راغبا في هذا ،فان من حق المعلم أن يختبره ، فان وجده ذا طبع للعلم موافق ، وفهم ثاقب وتصور صائب خلى بينه وبين التعليم ، وسوعد عليه بما يوجد من السبيل اليه ، وان وجد شريرا في طبعه أو ناقصا في فهمه منع أشد المنع ، ففي اشتغاله بما لا سبيل له الى ادراكه مفسدتان :

- تعطيله عما يعود بنفع الى العباد والبلاد .
- واشتغاله بما يكثر فيه شبهة وليس فيه نفع[(٢)] .

فانتقاء الطلاب انما يكون من أجل مصلحتهم اذا ، فمن لايستطيع تعلم العلم لسبب من الأسباب المتعلقة بامكانياته العقلية وما الى ذلك

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٥٨ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

فمن الأفضل أن يصرف الى مافيه مصلحته ومصلحة أفراد أمته ، بدلا من اضاعة الوقت والجهد فيما لافائدة منه على أحد. أما السبب الآخر فهو لكي لا يقع الطالب نفسه في الحيرة نظرا لعدم قدرته على الفهم والاستفادة مما يقدم له من علوم وقد يكون من عوامل اضلاله لافائدته.(١)

ان اختيار التلاميذ وحث كل الى تعليم مايليق به من واجبات المعلم الأولى وقد أورد الأصفهاني على ذلك أمثلة منها : أن يونس كان يتعلم العروض على يد معلمه الخليل فصعب عليه تعلمه فقال له الخليل يوما من أي بحر قول الشاعر :

اذا لم تستطيع شيئا فدعه ∴ وجاوزه الى ما تستطيع

ففطن يونس لما عناه الخليل فترك العروض. وقيل اختر كل انسان للفن الذي يستطيعه فبقدر شهوته يكون نفاذه فيه .(٢)

فواجبنا – نحن المربين – أن نخاطب الأطفال باللغة التي يفهمونها ، والعبارة التي يدركونها ، ونخاطب الكبار بلغة تختلف في أسلوبها عن لغة المبتدئين من الأطفال . فما يصلح للكبير لايصلح للصغير . وما يناسب الطفل لايناسب الرجل .

قال الله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)(٣)

---

(١) حسان محمد حسان / نادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية ص ٢٥٨ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، اختصار وتهذيب ابراهيم زيدان ، ص ١٩ .

(٣) سورة النحل ، (آية ١٢٥)

ولو اتبعنا هذه النصيحة الثمينة لنهضنا بتلاميذنا ، ورفعنا مستواهم ورغبنا في الدراسة وفي المدرسة.

قال أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه " ان هاهنا علوما جمة ، لو وجدت لها حملة "[1] أي لو وجدت لها من يفهمها ويحملها ويستحقها وقال المسيح عليه السلام (لاتضعو الحكمة في غير أهلها فتظلموها ولاتمنعوها أهلها فتظلموهم)[2] واذا كان اخوان الصفا قد قدموا لنا قبل الأصفهاني - على أرجح الأقوال - أسلوبا في كفية اختيار من سيقدمون علومهم لهم فان الأصفهاني يوضح هنا بصورة لاشك فيها ، مدى مايمكن أن يصيب الفرد ومجتمعه من ضرر

اذا هو لم يحصل على العلم الذي يتلاءم مع امكانياته وقدراته ، فالضرر لايقتصر على الفرد فقط من ضياع الوقت والجهد ولكنه أيضا هذا الوقت والجهد كان من الممكن أن يستفيد منه هو نفسه وأيضا غيره اذا هو وجهه الوجهة الصحيحة المتلائمة مع استطاعته.[3]

ويبدو أن فكرة بذل العلم لمن يستحقه كانت من الأمور المتواترة والمعمول بها في الأمة الاسلامية في تلك الفترة عموما ، واذا كان الصوفية والفلاسفة قد بالغوا فيها ، فقد وجدت أيضا عند غيرهم ممن اشتغلوا بالعلم وتعليمه في الأمة الاسلامية فالماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين يبين مسئولية العالم الذي تعلم علما وبالتالي عليه أن يبذله

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٥٥ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ،

(٣) حسان محمد حسان ، نادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية ، ص ٢٥٨ .

لغيره وأن ينتقي طلاب علمه وذلك بالقدرة على التمييز بين من يستحق حمل أمانة العلم ومن لايستحق حملها [(١)] . ومنع بعض الأدباء أيضا علمهم عمن لايستحقونه [(٢)] .

ان انتقاء الطلاب القادرين على حمل أمانة العلم ليس من الأمور التي اتبعها علماء الاسلام وحدهم ، بل نجد الأصفهاني يذكر أن بعض الأمم المتقدمة اذا ترشح بعضهم بمعرفة الحكم وحقائق العلوم والخروج من جمله الخاصة أختير ، فان لم يوجد خيرا في الخلق أو غير متهيء للتعليم منع أشد المنع ، وان وجد خيرا ومتهيأ شورط على أن يقيد بقيد من الحكمة ومنع الخروج الى أن يحصل له العلم أو يأتي عليه الموت [(٣)] .

وعلى المعلمين مسؤولية ضخمة في وجوب التدقيق في اختيار من سوف يسمحون لهم بتلقي علومهم والنقل عنهم " فان باذل العلم لمن لايستحق يستوجب عقوبة ومانعه من أهله يستوجب عقوبات " [(٤)] .

---

(١) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ط ٦ ، (القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٢٥م) ، ص ٦٤ .
(٢) أبو علي الغابي ، الأمالي ، ط (بدون) ، (مصر ، المطبعة الكبرى الأميرية ، ببولاق ، ١٣٢٤ هـ) ، ص ٣ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٥٧ .
(٤) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

٥ - أن يكون المعلم عاملا بعلمه ،"فلا يكذب قوله فعله . فيجب ألا يتعرى علمه عن مراعاة العمل فيه ألا ترى أنه ما خلى ذكر الايمان في عامة القرآن من ذكر العمل الصالح كقوله ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [١] واليه اشارة بقوله ﴿ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [٢] وقيل كثرة العلم من غير عمل مادة للذنوب ،" [٣] وجعل العبادة قسمان علم وعمل وحقهما أن يتلازما لأن العلم كالأس والعمل كالبناء وكما لايغني أس مالم يكن بناء ولا يثبت بناء مالم يكن أس كذلك لايغني علم بغير عمل ولا عمل بغير علم ." [٤]

وقد أحسن الأصفهاني في رأيه هذا كل الاحسان فينبغي أن تكون أفعال المعلم مطابقة لأقواله ، ولايجوز أن ينهى تلاميذه عن شيء ثم يفعله حتى لايسخروا منه ، وتضيع ثقتهم به .

قال الشاعر : لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

ان من اخلاص المعلم أن تتفق أعماله مع أقواله : ولايخجل من قول لا أدري ، اذا كان لايدري - فالعالم حقا هو الذي يشعر على الدوام بحاجته الى الاستزادة من العلم ، ويضع نفسه موضع تلاميذه في البحث عن الحقيقة ، ويخلص لهم ويحافظ على أوقاتهم ،ولا مانع يمنع التعلم منهم. [٥]

---

(١) سورة الكهف ، آية (١٠٧).
(٢) سورة فاطر ، آية (١٠).
(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٧ .
(٤) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٧٥ .
(٥) محمد عطية الأبراشي ، التربية الاسلامية وفلاسفتها ، ص ١٣٧ .

٦ - أن يكون للمعلم تلاميذ يفيدهم العلم الذى يعلمه " فأى عالم لم يكن له من يفيده صار كعاقر لانسل له فيموت ذكره بموته ، ومتى استفيد علمه كان فى الدنيا موجودا وان فقد شخصه كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه " العلماء باقون مابقى الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم فى القلوب موجودة " ، وقال بعض الحكماء فى قوله تعالى : ﴿ فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب ... ﴾ [١] انه سأل نسلا يورثه علمه ، لا من يورثه ماله ، فأعراض الدنيا آهون عند الأنبياء من أن يشفقوا عليها وكذا قوله تعالى ﴿ وانى خفت الموالى من ورائى ﴾ [٢] أي خفت ألا يراعوا العلم [٣] ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (العلماء ورثة الأنبياء) [٤] . وقال صلى الله عليه وسلم " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له " .

٧ - التحاب والتعاضد وعدم الحقد والحسد والتباغض فكما أن حق أولاد الأب أن يتحابوا ويتعاضدوا ولا يتباغضوا ، كذلك فأخوة الفضيلة فوق أخوة الولادة [٥] ولذلك قال تعالى ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ [٦] وقال : ﴿ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴾ [٧] .

وقال صلى الله عليه وسلم " المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولا يحقره " الحديث .

---

(١) سورة مريم ، آية (٥، ٦) .

(٢) سورة مريم ، آية (٥) .

(٣) الراغب الأصفهانى ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٥٢ .

(٤) الحديث جزء من حديث رواه أبو داود حديث رقم ٣٦٤١ والترمذى فى العلم ج ٥ ص ٤٩ رقم ٢٦٨٢ .

(٥) الراغب الأصفهانى الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٥٣ .

(٦) سورة الحجرات ، آية (١٠) .

(٧) سورة الزخرف ، آية (٦٧) .

٨ - يجب على المربين أن يعودوا المتعلمين العادات الحسنة ، فحق الولد على الوالدين أن يؤخذ بالآداب الشرعية واخطار الحق بباله وتعويده فعل الخير وأن يحسن في عينه المدح والكرامة ، ويعود الاقتصاد في تناول الطعام ومخالفة الشهوة ومجانبة ذوي السخف ويؤخذ بقلة النوم في النهار فهو يشيب ويورث الكسل ، ويعود التأني في أفعاله وأقواله ويمنع من مفاخرة الأقران ومن الضرب والشتم والعبث والاستكثار من الذهب والفضة ويعود صلة الرحم وحسن تأدية فروض الشرع قال بعض الحكماء : من سعادة الانسان أن يتفق له في صباه من يعوده تعاطي الشريعة حتى اذا بلغ الحلم وعرف وجوبها فوجدها مطابقة لما تعوده قويت بصيرته ونفذت في تعاطيها عزيمته (١) .

ونعتقد أن الطفل أمانة عند والديه فيجب أن يعمل والداه على تربيته تربية كاملة ، بكل وسيلة من الوسائل ، وان الطفل في صغره ليس عنده معلومات أو تجارب ، فهو لاخبرة له ، ولا تجربة ،خال من كل مؤثرات البيئة التي يتأثر بها في المدرسة والمجتمع مثلا فالمسئولية الأولى للتربية هي المنزل وذلك بتعويده العادات الحسنة والأخلاق الفاضلة ولا نفهم من هذا أن الأصفهاني ينكر مايرثه الطفل من الغرائز والنزعات والميول الفطرية فهو يقول : والفاضل التام الفضيلة من اجتمعت له هذه الأسباب المستمدة وهو أن يكون طيب الطينة معتدل

---

(١) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص٤٦ .

... الأمزجة جاريا في أصلاب آباء صالحين ذوي أمانة واستقامة متكونا من نطفة طيبة ومن دم طمث طيب على مقتضى الشرع ومرتضعا حليب طيب (١)

ولايستطيع أحد أن ينكر أثر البيئة في تربية الطفل ، فقد يجد عناية بتربيته في البيت ، ورعاية في المدرسة ويسبب اتصاله بأصدقاء السوء ، والأصحاب المنحرفين فيحاكيهم ويقلدهم في أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم وسلوكهم ، فيصير مثلهم ، ويتخلق بأخلاقهم ويسير في طريقهم طريق الرذيلة والانحراف ، وسوء السلوك ، فيضل ويخفق في حياته العلمية ويتعثر في مستقبله ، والسبب في ذلك اتصاله بقرناء السوء ويرى الأصفهاني أن يحفظ عن أهل السخف وتكون صيانته بالتربية والتهذيب وتفهيمه في الوقت المناسب الأخلاق الكريمة ومحاسنها والأخلاق السيئة ونتائجها كما يرى الأصفهاني أن يعد الصبي للحياة التي تنتظره وتحمل متاعبها فلا يعوده الأب حياة النعيم والزينة والرفاهية في الصغر فلا يستكثر من الذهب والفضة (٢) والأصفهاني حريص كل الحرص على العناية بتربية الطفل ومراقبته منذ صغره فان الطفل اذا أهمل في بدء حياته خرج في الأغلب رديء الأخلاق .

واننا نوافق الأصفهاني في رأيه ونرى عدم استكثار الطفل من الترف والنعيم فضيلة لأن النعيم والترف والرفاهية لا تدوم فالطفل يجب

---

(١) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٤٧ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

أن يعد للحياة ومافيها من سعادة وشقاء ومن نعومة وخشونة ونرى ألا يسمح للطفل بمخالطة هؤلاء المدللين من الأطفال ، لأنهم لايصلحون للحياة التي تنتظرهم فقد وجدوا الحياة سهلة ميسرة لهم فناموا واستعذبوا النوم ، وصارت حياتهمكلها حياة كسل وخمول وجعلوا ليلهم نهار ، ونهارهم ليلا ، ففسدت أخلاقهم ، وأصبحوا جرثومة من الفساد.

وقد تنبه الأصفهاني الى أثر استعمال وسائل التشجيع والمدح حيث يقول " وأن يحسن في عينه المدح والكرامة "[١] ويعد في هذا الرأي حكيما مثاليا ، عالما بنفسية الأطفال وميولهم ورغباتهم وطريقة معاملتهم ، وما يحبون وما يكرهون فان كلمة ثناء أو تشجيع للطفل كثيرا ماتقوده الى الخلق الكريم والطريق المستقيم .

ومن الآداب العامة في نظر الأصفهاني أن يؤخذ الطفل بقلة النوم ويعود الاقتصاد في الطعام ويعود التأني في أقواله وأفعاله ويمنع من مفاخرة الأقران ، ومن الضرب والشتم والعبث ، ويعود صلة الرحم وحسن تأدية فروض الشرع وترك الأحقاد والحسد والذم والمهانة وعدم الحرص على المآكل والمشارب .[٢]

وان من ينظر الى هذه الآداب العامة يجد أنها تمثل التربية الاجتماعية التي ننادي بها ، وذلك بتعويد الطفل العادات الحسنةومنعه

(١) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص٤٦ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٤٦ - ٤٧ .

من العادات القبيحة .

والحق أننا بحاجة ماسة الى العناية بالتربية الاجتماعية في البيت أولا وفي المدرسة ثانيا وفي المجتمع ثالثا . بحيث يكون الطفل مؤدبا في البيت والمدرسة والمجتمع على السواء واذا عودنا الطفل هذه الآداب الاجتماعية التي أوضحها الأصفهاني استطعنا أن نكون منه رجلا كاملا من الناحية الاجتماعية وأوصلناه الى السعادة التي يراها الأصفهاني " فان من سعادة الانسان أن يتفق له في صباه من يعوده تعاطي الشريعة حتى اذا بلغ الحلم وعرف وجوبها فوجدها مطابقا لما تعوده قويت بصيرته ونفذت في تعاطيها عزيمته .[1]

وهذا ما تستهدفه التربية المعاصرة من أن يكون المعلم رائدا اجتماعيا ومرشدا نفسيا وموجها تربويا لتلاميذه ويشيع حاجاتهم ويحقق لهم الاستقرار النفسي ويعودهم على تحمل المسئولية والوفاء بالوعد والولاء للجماعة والاحساس بالانتماء اليها .[2]

---

(١) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ص ٤٧ .

(٢) لطفى بركات أحمد ، فى الفكر التربوى الاسلامى ص ٦٥ .

ثانيا - واجبات المتعلمين :

١ - أن يطهر نفسه من رديء الأخلاق ، تطهير الأرض للبذر من خبائث النبات[1] ، فنتيجة للبيئة الاجتماعية في القرن الخامس الهجري ، ركز الأصفهاني على وجوب تطهير نفس المتعلم من الرذائل فالناس متى تركوا تعاطي الاحسان والافضال وتحري العدالة فيما بينهم فلايأتون بها لا خلقا ولا تخلقا ولا رياء ولاسمعة ولارهبة ولارغبة فساروا في تعاطي الشر سواء بسواء[2] ، ويرتقي الانسان في الفضائل عند الأصفهاني بأربع درجات هي :

أ - أن يرتدع الانسان عن المآثم ويهجرها ويندم عليها ويعزم على تركها وذلك أول درجة التائبين المطيعين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

ب - أن يقوم بالعبادة الواجبة عليه ، ويسارع فيها بقدر وسعه وذلك درجة الصالحين .

جـ - أن يتحرى بعلمه الحقيقي تعاطي الحسنات من غير تلفت الى المحظورات بمجاهدة هواه واماته شهواته وذلك منزلة الشهداء.

د - أن يكون مع هذه الأحوال المتقدمة برضى ظاهرا وباطنا بقضاء الله تعالى فلا يتزعزع تحت حكمه ولايتسخط شيئا من أمره ويعلم أن الله

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٩ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٨٧ .

تعالى أولى به من نفسه وذلك درجة الصديقين .[١]

وينحدر الفرد عند الراغب الأصفهاني عن الأخلاق الفاضلة بالأسباب التالية :

- الأول : الكسل عن تحري الخيرات ويورثه الزيغ المعني بقوله تعالى ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾[٢] .

- الثاني : الغباوة وهي ترك النظر ونقص العمل وهي تورث الرين في القلب مما يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾[٣] .

- الثالث : الوقاحة وهي أن يرتكب الفرد الباطل ويراه في صورة الحق ونـدب عنه فيورثه ذلك قساوة قلب كما قال تعالى : ﴿ ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾[٤] .

- الرابع : الانهماك في الباطل ، وهو أن يستحسنه فيحيه فيورثه ذلك ختما على قلبه واقفالا عليه[٥] كما قال تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾[٦] وكما قال : ﴿ أم على قلوب أقفالها ﴾[٧] .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٨٥ .
(٢) سورة الصف ، آية (٥).
(٣) سورة المطففين ، آية (١٤).
(٤) سورة البقرة ، آية (٧٤).
(٥) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة، ص ٨٦ .
(٦) سورة البقرة ، آية (٧).
(٧) سورة محمد ، آية (٢٤).

ويرى الأصفهاني أن الكسل سبب الغباوة ، والغباوة سبب الوقاحة ، والوقاحة سبب الانهماك في الباطل ، كما أن الزيغ يوجب الرين ، والرين يوجب القساوة ، والقساوة توجب الختم والاقفال فحق الانسان وخاصة المتعلم أن لايتهاون في ارتكاب الصغاير فيؤديه ذلك الى ارتكاب الكبائر .(١)

فالعلم اذا يتطلب ممن يريده أن يكون على حال خلقية وروحية خاصة تؤهله لأمانة حمله والاشتغال به ولعل الأصفهاني قد تأثر باخوان الصفا في رسائلهم حيث أشاروا الى وجوب تطهير المتعلم من الأخلاق الرديئة وابتعاده عن الشرور والمفاسد . وكان هذا الاحتفال بالعلم وتعلمه وحمله وتوصيله دلالة على منزلة العلم وأهميته.(٢) وينبغي أن يبدأ بتطهير قلبه من الرذائل لأن التعليم والتعلم يعدان من العبادة . ولا تصح العبادة الا مع طهارة القلب ، والتحلي بالأخلاق الكريمة مثل الصدق والأمانة والاخلاص والتقوى والتواضع والزهد والرضا والبعد عن الصفات الذميمة ، كالحقد والحسد ، والكراهية ، والكبرياء ، والغش والفخر ، والخيلاء.

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٨٧ .

(٢) حسان محمد حسان ، ونادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية ، ص ٢٥٣ .

٢ - لاينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ، أو يستنكف عن الاستفادة من العلماء - فالعلم خراب للمتعالى كالسيل خراب للمكان العالي ولهذا قيل العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك . فان أعطيته كلك ، فانك من اعطائه اياك على خطر ، وكأنما اياه عنى من قال :

خدم العلا فخدمته وهي التي ∴ لاتخدم الأقوام مالم تخدم (١)

فالعلم لاينال الا بالتواضع ، وحسن الاصغاء والاستماع ، ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده ، وليدع رأيه ، فان خطأ مرشده أنفع له من صواية نفسه .

فلكي ينتفع في نظرنا بالدراسة يجب أن يكون قابلا للعلم ، قادرا على الفهم مصغيا كل الاصغاء الى أستاذه يستقبل كل ما ألقى اليه وما سمعه ، بصدر رحب ، وسرور جم ، وشكر لمعلمه .

٣ - يرى الأصفهاني أن من الصفات الواجب توفرها في المتعلم وما يجب أن يتميز به عن غيره هو " أن يقلل من الأشغال الدنيوية ليتوفر فراغه على العلوم الحقيقية " ، واستشهد بقول الله تعالى ﴿ ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ (٢) ويرى أن الفكرة متى توزعت تكون كجدول * تفرق ماؤه فينشفه الجو وتتشربه الأرض ، فلا يقع به نفع ، واذا جمع بلغ المزرع فانتفع به (٣) .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية (٤) .

* هو النهر الصغير ويقال نهر الحوض والأنهار الصغار ويقال لها الجداول انظر : لسان العرب (جدل) ج ١١ ص ١٠٦ .

(٣) الراغب الأصفهانى ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٩ .

فالعلم في رأي الأصفهاني أجل من أن يتخذ في الأغراض الدنيويه لوحدها وهذه التربية المثالية نادى بها كثير من علماء الاسلام حيث يدرس العلم ليعمل به ويطبقه بين اخوانه المسلمين لأن في ذلك لذة علمية وروحية للوصول الى الحقائق العلمية والأخلاق النبيلة . وان من ينظر الى ما خلفه المسلمون من تراث علمي وادبي وفني يجد أمامه ثروة خالدة لانظير لها في العالم كله . تدل على شدة تعلقهم بالعلم والأدب والفن لذاته (١) . فيجب على الطالب أن يتفرغ لطلب العلم ، لأن العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كل وقتك وتفكيرك .

٤ - تعظيم العلم وأهله :

ان العلم لاينال ولاينتفع به الا اذا كان له عند المتعلم تعظيم وتوقير " ومن هنا تعلو قيمة العلم عند المتعلم وتشرف ويكون توقيره هذا محورا ، بل مصدرا لكثير من الاهتمامات والأنشطة المرتبطة بتعلمه فتعظيم العلم هنا هو تعظيم ايجابي ، ليس تعظيما لفظيا ولكنه تعظيم مؤد الى عمل وسلوك ." (٢) ومن تعظيم العلم تعظيم المعلم ذلك لأنهما من أصل واحد ، اذ لا يمكن أن يتحقق لدى المتعلم تعظيم حق للعلم دون أن يظهر هذا في تعظيم المعلم وتوقيره . وفي كلام الأصفهاني يشير الى ما يعبر به عنه من سلوك مع المعلم حتى يكون التعظيم والتوقير عملا وقد قيل للاسكندر أنك تعظم معلمك أكثر من

---

(١) لطفي بركات أحمد ، في الفكر التربوي الاسلامي ، ط ١ ، (الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م) .

(٢) سيد أحمد عثمان ، التعليم عند برهان الاسلام الزرنوجي ، ط (بدون) ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م) ، ص ٤٨ - ٤٩ .

تعظيمك لأبيك ، فقال : لأن أبي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب الحياة الباقية .[١]

لذلك يجب على طالب العلم أن يحترم معلمه ويجله ويوقره ويعمل على ارضائه بكل وسيلة من الوسائل .

٥ - ألا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ، ولا نوعا من أنواعه ، الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته - ولايترك علما من العلوم أمكنه النظر فيه واتسع العمر له فعليه أن يحاول أن يأخذمنه بطرف - والفائدة العاجلة التي تعود على المتعلم من المامه بطرف العلوم هي أنه لايعادي علما من العلوم ذلك لأن الناس أعداء ماجهلوا[٢] غير أن العمر قصير ، حقيقة ، اذا حاول الانسان أن يتعلم كل ما هو معروف من العلوم فانه يجب على المتعلم أن يتزود من العلوم المختلفة على قدر استطاعته وما يسمح به وقته ، فان العلوم متفاوتة ، وبعضها مرتبط ببعض .

٦ - ألا يخوض في فن من الفنون حتى يستوفي الفن الذي قبله على الترتيب فالعلم على هيئة مراتب أو منازل يقطعها المتعلم واحدة تلو الأخرى على ترتيب معين ويصف الأصفهاني طريق العلم الذي يسير عليه المتعلم

---

(١) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ،

(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٣ .

بقوله : " العلم طريق اللهذومنازل ، قد وكل الله تعالى بكل منزلة منها حفظة كحفظة الرباطات والثغور في طريق الحج والغزو ، فمن منازله معرفته التي عليها مبنى الشرع ، ثم حفظ كلام رب العزة ، ثم سماع الحديث ، ثم الفقه ، ثم علم الأخلاق ، والورع ، ثم علم المعاملات، وما بين ذلك من الوسائط من معرفة أصول البراهين والأدلة "(١) وقال تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آوتوا العلم درجات ﴾(٢) .

ويرى الأصفهاني" أن ازدحام العلم في السمع مضلة للفهم ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ﴾(٣) ، ويجب أن يقدم الأهم فالأهم من غير اخلال بالترتيب وكثير من الناس فقدوا الوصول بتركهم الأصول وحقه أن يكون قصده من كل علم تحراه لتبلغ به الى ما فوقه حتى يبلغ النهاية .(٤) "

فالأصفهاني يقصد أن يعرف طالب العلم في مرحلة الثقافة شيء عن كل شيء ، فاذا أراد التخصص في الدراسة والتبحر فيها عرف كل شيء، أي صغيره ودقيقه عن علم واحد من العلوم . وهذا ما ننادي به اليوم في التربية باسم التخصص التربوي لأن الحياة قصيرة وطاقة الانسان محدودة ، ولايستطيع أن يجيد أكثر من فرع واحد من احدى المواد.

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٤.
(٢) سورة المجادلة ، آية (١١) .
(٣) سورة البقرة ، آية (١٢١) .
(٤) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٧.

٧ - أن يكون قصد المتعلم من العلوم النظرية معرفه الله تعالى على الحقيقة ؛ فالعلوم كلها خدم لها وهي حرة ، وروي أنه روي صورة حكيمين من الحكماء في بعض مساجدهم وفي يد أحدهما رقعة فيها : ان أحسنت كل شيء فلا تظنن أنك أحسنت شيئا ، حتى تعرف الله وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء ، وفي يد الآخر . كنت قبل أن عرفت الله تعالى اشرب واظمأ ، حتى اذا عرفته رويت بلاشرب ، بل قد قال الله تعالى ما قد أشار به الى ما هو أبلغ من حكمة حكيم ﴿ قل الله ثم ذرهم ﴾ [1] أي اعرفه حق المعرفة ولم يقصد بذلك أن يقول ذلك قولا باللسان اللحمي فذلك قليل الفائدة مالم يكن عن طوية خالصة ومعرفة حقيقية . " [2]

٨ - أن يعرف المتعلم السبب الذي به يدرك الشرف من العلوم ، فان ثمرة علم الطب الحياة الدنيوية ، وثمرة الدين الحياة الأخرى ، فيكون علم الدين أشرف . [3]

٩ - على المتعلم أن يواصل الدرس ما نشط عقله وفطن ، فاذا أحس في عقله نفور فليتوقف عن العمل وليلجأ الى اللعب فان العقل المكدود ليس لرويته لقاح ولا لرأيه نجاح. [4] وهذه دعوة من الأصفهاني الى رياضة الجسم والنفس معا .

---

(١) سورة الأنعام ، آية (٩١).
(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٧ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ .
(٤) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء

١٠ - يجب على طالب العلم التحلي بمكارم الأخلاق ، والبعد عن مذموم الصفات

ولما أن حق أولاد الأب الواحد أن يتحابوا ويتعاضدوا ولايتباغضوا ،

كذلك ، فاخوة الفضيلة فوق أخوة الولادة.[(١)] "

والصفات الذميمة التي يجب أن يتجنبها الطالب الحقد والحسد ،

والشهوة المذمومة والكبر والعجب كل هذه ظلمات تحجب نور العلم وليس العلم

كثرة الرواية وما تعيه الحافظة ، وانما هو نور البصيرة ، بما تميز

بين الحق والباطل ، والضار والنافع ، والخير والشر ، والهدى والضلال .

١١ - يجب على طالب العلم أن يأتمر للمعلم ولايتآمر عليه بل يذعن لنصيحته

اذعان المريض الجاهل للطبيب الحاذق ، وينبغي أن يتواضع لمعلمه

فلاينال العلم الا بالتواضع والانتباه والقاء السمع ولا يجادله فيما ليس

بصدد تعلمه وكفى على ذلك تنبيها ما حكي الله عن العبد الصالح أنه

قال لموسى عليه السلام حيث قال : ﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت

رشدا ﴾[(٢)] ﴿ فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾[(٣)] فنهاه

عن مراجعته وليس ذلك نهيا عما حث الله عليه في قوله ﴿ فاسئلوا

أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ﴾[(٤)] وذلك لأن النهي انما هو نهي عن نوع

العلم الذي لم يبلغ المتعلم منزلته بعد ، والحث انما هو عن سؤال

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص١٥٣ .

(٢) سورة الكهف ، آية (٦٦).

(٣) سورة الكهف ، آية (٧٠).

(٤) سورة النحل ، آية (٣٣).

تفاصيل ما خفي عليه من النوع الذي هو بصدد تعلمه .[١]

١٢ - أن يحذر طالب العلم الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الاصغاء الى الاختلافات المشككة والشبه الملتبسة مالم يتهذب في قوانين ما هو بصدده لئلا تتولد له شبهة تصرفه عن العلم فعليه أن يترك الخلافات العلمية والآراء المتشعبة حتى لايقف الطالب في حيرة من أمره .

هذه هي الصفات التي يجب أن يتمسك بها الطالب كي ينجح في دراسته وحياته والحق أن المسلمين قد عرفوا الحياة حق المعرفة ، وعنوا بالناحية الروحية عنايتهم بالناحية الجسمية فاعطوا الروح غذاءه من العلم والدين والفضيلة ، وأعطوا الجسم ما يحتاج اليه من غذاء صحي ومسكن صحي ، وهواء طلق ، وحثوا الطالب على صيانة روحه وجسمه وعقله ، وقراءة مايفيده في الحياة وتخير الأصحاب من الفضلاء .[٢]

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٥٠ - ١٥١ .
(٢) محمد عطية الأبراشي ، التربية الاسلامية وفلاسفتها ، ص ١٤٩ .

الفصـــــــل العاشـــر

* الاسهامات التربوية للراغب الأصفهانـــــــــــي *

مع ان الراغب الاصفهانى لم يكن يرغب فى الاتصال المباشر بالوزراء والامراء ،وكان يؤثر القناعه والاخلاد الى الدرس والتأليف والعباده .

ولعل الراغب الأصفهانى قد تأثر بعصره وحالة العلماء فيه .

ولكنه فى الوقت نفسه أسهم فى الحياة العلمية وترك آثارا يمكن أن نلخصها فيما يلى :

١ - الوقوف فى وجه أهل الجدل والكلام :

وجعل الأصفهانى ميزان الدين أشرف الموازين وأولاها بالمعرفة وقد واجه أهل الجدل والكلام الذى انتشر فى القرن الخامس الهجرى وما سبقه حيث يقول فى غير موضع من كتبه (وكثير فى زماننا من تجلي يعلم الكلام وترسخ فيه للجدل والخصام ورام الزعامة فيه قبل أوانها ، وطلب تحقيق موزوناته بغير ميزانها ، وأخذ كل واحد منهم يخرص خرصا ، ويظن ظنا ، ويسلك بطنه طريقا غير نهج ، فاذا وقع بينهم خلاف جعل كل واحد منهم ميزانه خرصه واعتقد فيما اتبعه ظنه ، فاذا تحاكموا الى ما اتخذوه ميزانا صار خلافهم فى الميزان أكثر من خلافهم فى الموزون ، فهم فى ذلك كمن غص بطعام استغاث بالماء ، لاجرم أن كثيرا من مناظراتهم لاتولد الا شبهة ولا تثمر الا حيرة . (١)

---

(١) الراغب الأصفهانى ، الذريعة الى مكارم الشريعة، ص ١٦٣ .

﴿ ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها من لم يجعل الله نورا فما له من نور ﴾ (١)

ويفضل الراغب الصمت حتى يحتاج الانسان الى النطق ويذم الاكثار من الكلام وأن يستعين على الكلام يطول الفكر في المواطن التي يستدعيها وأن يتدبر ما يقول فان للسان جناية قد تؤدي الى هلاك المتكلم وعلى المتكلم أن يثبت في كلامه ولايتسرع فيه وأن يتعلم حسن الاستماع كما يتعلم حسن المقال ولايقطع على أحد حديثا فان للسائل على السامع ثلاث أمور (جمع البال، حسن الاستماع ، الكتمان) ، لذلك نهى الأصفهاني عن محادثة من ساء استماعه (٢) .

٢ ـ الاسهام فى اقامة الفكر الاسلامى على الأدلة العقلية والنقلية :

أسهم بمؤلفاته في مقاومة تيار الغزو الثقافي الأجنبي وطوع تلك الثقافة للتصورات الاسلامية ، في مقابل الآراء الفلسفية التي انحرفت عن العقيدة الاسلامية ، وخالفتها في بعض المواضع مخالفة تامة ، ولا أدعي بانني سأذكر ذلك الفكر للراغب الأصفهاني في هذه العجالة ولكنني سأذكر أمثلة من مؤلفات الراغب الأصفهاني تشير الى القضايا الجوهرية التي تعبر عن انحرافات ظاهرة عن العقيدة الاسلامية في الفكر الفلسفي في عصره والعصر الذي سبقه :

---

(١) سورة النور ، آية (٤٠).

(٢) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء من ص ٣١ ـ ٣٣ .

أ - النبوة عند الأصفهاني :

خلط الفارابي مثلا بين مكانة (الفيلسوف) و (النبي) وهي فكرة تصادم حقيقة النبوة كما يؤمن بها المسلمون ، لأنها اختيار واصطفاء من الله تعالى لمن يشاء من خلقه ، ولم يقل أحد قبل الفارابي أنها ممكنه بالاكتساب أو بالجهد الشخصي !! [1] ان النبوة عند المسلمين كما يقرره الراغب الأصفهاني " سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لازاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم ، ويزيدنا الراغب أيضاحا فيقول : والنبي لكونه منبئا بما تسكن اليه العقول الذكية. [2] لكي يؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب العقول ويأتي بالأدلة التي تضعها .

ب - العالم العقلي ليس هو عالم الغيب :

" عالم (الغيب) ليس من قبيل العالم العقلي الخاضع للتصور والخيال الذهني المحض الذي لا حقيقة له خارج الذهن ، بل هو عالم عظيم مذهل ، وله حقيقته الوجودية التي أخبرنا بها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولعل الراغب الأصفهاني قد أدرك عناصر التشابه بين فلسفة أرسطو - الوثني الاعتقاد - وفلسفة ابن سينا

---

(١) مصطفى حلمي ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ط ١ ، (الاسكندرية : دار الدعوة ، ١٩٨٥م) ، ص ١١٨ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، ط (بدون) ، (بيروت : دار المعرفة ، بلا تاريخ) ، ص ٤٨٢.

وغيره من الفلاسفة الذين حاولوا علاج فلسفة أرسطو ببعض الحواشي والتلفيقات لتتحول الى اسلامية !! (١)

فابن سينا لما عرف شيئا من دين المسلمين وكان قد تلقى ما تلاقاه عن الملاحدة في مجال تخصصه أراد أن يجمع بين ماعرفه بعقله من هؤلاء وبين ما أخذه من سلفه ، فتكلم في الفلسفة بكلام مركب من كلام سلفه ومما أحدثه مثل كلامه في النبوات وأسرار الآيات والمنامات بل وكلامه في بعض الطبيعيات والمنطقيات وكلام في واجب الوجود ونحو ذلك . (٢)

فالراغب يتفق مع شيخ الاسلام ابن تيميه الذي يوضح بالأدلة أن من زعم أن عالم الغيب الذي أخبرت به الرسل هو العالم العقلي الذي يثبته هؤلاء فهو مخطئ فان بن سينا ومن سلك سبيله في هذا كالشهرستاني والرازي وغيرهما يقولون أن الالهيين يثبتون العالم العقلي ويردون على الطبيعيين منهم الذين لايثبتون الا العالم الحسي . ويدعون أن العالم العقلي الذي يثبتونه هو ما أخبرت به الرسل من الغيب الذي أمروا بالايمان به مثل وجود الرب والملائكة والجنة . (٣)

ان الغيب كما يذكر الأصفهاني (مالا يقع تحت الحواس ولاتقتضيه بداية العقول وانما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام ، ويدفعه

(١) مصطفى حلمي ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ص ١١٩ .
(٢) مصطفى حلمي ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ص ١٤٠ .
(٣) مصطفى حلمي ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ص ١٣٤

يقع على الانسان اسم الالحاد) [١] .

فالراغب الأصفهاني يقف في وجه أولئك الذين يضيعون المنهج الديني مقابل المنهج العقلي . ويرى أن العقل لن يهتدي الا بالشرع والشرع لا يتبين الا بالعقل [٢] وان العقل بنفسه قليل الفائدة لايكاد يتوصل الا لمعرفة كليات الأشياء دون جزئياتها [٣].

٣ - الصلة بين العلم والدين :

" ولم يثر موضوع الفصل بين الدين والعلم لدى المسلمين قبل انتقال عدوي الفلسفة اليونانية اليهم فكان العلم عند المسلمين بمعناه العام ثمرة العقل والوحي واقتصر التمييز بينهما فقط حول أهمية العلوم بحسب ثمرتها ووثاقة دلالتها ، كالمقارنة مثلا بين علم الدين وعلم الطب ، فان ثمرة علوم الدين الوصول الى الحياة الأبدية وثمرة علم الطب الوصول الى الحياة الدنيوية ، أو أن علوم الدين أصولها مأخوذة عن الوحي ، والطب أكثر أصوله من التجارب . كذلك وضعت العلوم غير المتصلة بالعقيدة والفقه والأصول موضع المقارنة بينها وبين غيرها من العلوم : كالطب مع الحساب مثلا ، فللطب شرف الثمرة

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٦٧ .
(٢) الراغب الأصفهاني ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ٦٣ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٦٤ .

اذ هو يفيد صحة البدن ، وللحساب وشاقة دلالية اذا كان العلم به ضروريا غير مفتقر الى التجربة وهكذا اتسع ميدان المعرفة أمامهم ولم يتعسفوا في الفصل بين الدين والعلم كما فعل أتباع العلمانية وكانت همة علماء الاسلام منصرفة ابان عصور حضارتهم في طلب أنواع العلوم والاقبال عليها بجدية وحرص أيا كانت طبيعتها.(١)

فنرى الراغب الأصفهاني يقرر أنه ينبغي ألا نترك شيئا من العلوم أمكننا النظر فيه واتسع العمر له الا ونسعى لطلبه ، فان ساعدنا القدر على التزود منه فبها ونعمت ، والا عاديناه بسبب جهلنا به ، فالناس أعداء ما جهلوا . ويروي عن بعض الفضلاء أنه رؤى بعد ماطعن في السن وهو يتعلم أشكال الهندسة فسئل عن ذلك فأجاب : وجدته علما نافعا فكرهت أن أكون لجهلي به معاديا له ولاينبغي للعاقل أن يستهين بشيء من العلوم ، بل يجعل لكل حظه الذي يستحقه ومنزله الذي يستوجبه ويشكر من هداه لفهمه وصار سببا لعلمه.(٢)

---

(١) مصطفى حلمي ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ص ٦٨ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

٤ - خبرة الراغب الأصفهاني اللغوية والأدبية الواسعة :

للراغب الأصفهاني فضلا مذكورا في مجال اللغة والعناية بمفرداتها وشرحها يدلعلى فقه فياللغة وتبحرفيهاويمكن ادراك آثره اللغوي في المعاجم من خلال دراسةكتابه المفردات في غريب القرآن ، والاسهام في القضايا اللغوية الهامة . وسأقتصر على وصف موجز لكل من كتبه (المفردات في غريب القرآن) (ومجمع البلاغة) ، (ومحاضرات الأدباء) التي تشير الى جهوده في اللغة والأدب :

أ - المفردات في غريب القرآن :

هو من أجل كتبه وأجزلها فائدة . فهو تفسير جامع لماورد في القرآن الكريم من الكلمات الصعبة . وقد رتبه بحسب الحروف الهجائية كما هو الشأن في المعجمات اللغوية . وبذلك كان من السهل على الباحث أن يحصل على مراده دون تعب وفي مدة وجيزة .

وفي الحقيقة ان الراغب قد تقدّم الى الباحثين خدمة كبرى بهذا الكتاب الذي أصبح من المراجع الهامة التي لايستغني عنها المشتغلون بدراسة القرآن الكريم وتفسيره .

ونرى من هذا الكتاب أن الراغب الأصفهاني كان متمكنا من اللغة تمكنا تاما . ومحيطا بدقائقها وملما بالنحو والصرف الماما جيدا (١)

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن

فتفتق ذهنه عن منهج جديد في تفسير القرآن فرأى أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علومه " العلوم اللفظية " ومن العلوم اللفظية تتحقق الألفاظ المفردة لمن يريد أن يدرك معانيه ، " لتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه . وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع ، فالألفاظ القرآنية هي لب كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، واليها مفزع حذاق الشعر والبلغاء في نظمهم وشعرهم .(١)

ولنضرب مثلا واحدا من الكتاب يوضح ما سبق قال الراغب الأصفهاني أبق : قال تعالى : ﴿ اذا أبق الى الفلك المشحون ﴾(٢) يقال : أبق العبد يأبق اباقا وأبق يأبق اذا هرب . وعبد آبق وجمعه أباق ، وتأبق الرجل تشبه به في الاستتار وقول الشاعر :

قد أحكمت حكمات القد والأبقا "(٣)

ب - مجمع البلاغة :

عبارة عن كتاب يحتوي على مختارات في اللغة والأدب والشعر والأقوال والأمثال تدور حول موضوعات ثقافية وأدبية وحول معارف الناس

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٦ .
(٢) سورة الصافات ، آية (١٤٠) .
(٣) الراغب الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص ٨ .

في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وما يمكن أن يكون وصفا لبعض مظاهر حياتهم التربوية والاجتماعية .

وكان جانب الاهتمام باللغة شديد الوضوح في هذا الكتاب لما فيه من عناية بمفردات اللغة وتركيبها وشرحها مما يدل على فقهه في اللغة وتبحره فيها ، كما أن الجانب الأدبي بينا أيضا بما فيه من أشعار وأمثال وأقوال وأخبار ونقدات . ولعل معرفة الهدف الذي رمى اليه الراغب من تصنيف هذا الكتاب يتضح في مقدمته حيث يقول " ولما رأيتك ... مائلا الى الألفاظ المونقة والمعاني الغضة المورقة ، والبدائع من الكلم ، تتبعت نوادر الأشعار وغررها . فما عثرت عليه من واسطة فقر انتخبتها وما انتهيت اليه من أعلام اقتنصتها وجمعتها وما وجدته من كلام البلغاء من لفظ يعد في السحر الحلال ، والعذب الزلال ضممته اليه "(١) .

ولعل المخاطب في قول الأصفهاني كما حققه الدكتور عمر الساريسي كما ذكرنا سابقا هو الوزير أحمد بن ابراهيم أبو العباس الضبي الملقب بالكافي الأوحد ، ولايفوتنا ما وصل اليه المسلمون في القرن الرابع والخامس الهجري فبعدما شغلوا في القرنين الثاني والثالث للهجرة بنقل العلوم الأجنبية ، فقد انتقلوا من الجمع والتحصيل

---

(١) الراغب الأصفهاني ، مجمع البلاغة ، جـ ١ ، ص ٣٦ .

الى الانتاج الشخصي ، وامتزجت في القرن الرابع والخامس للهجرة الثقافات ونشطت حركة الترجمة نشاطا غريبا ، فلا تجد فنا من فنون العلم التي عرفها الأقدمون الا وقد أخذ المسلمون منه بحظ غير قليل .(١)

ولنضرب مثلا واحدا من كتاب الأصفهاني مجمع البلاغة يبين أثره اللغوي والأدبي والفكري فقد قال في التعلم والتعليم : هذبته ، وأدبته ، وفهمته ، وقومته ، وثقفته ، وخرجته ، ودرجته ، شحذت نصله ، وحادثت فضله . فلان بحر يستقى منه ويرتوى منه ولا يروى قال الصاحب رحمه الله (له يتلمذون وله يستذون).

يزدحم الناس على بابه ∴ " والمشرب " العذب كثير الزحام

يزدحم الناس كل شارقة ∴ ببابه مشرعين في أدبه

لله ماراح في " جوانحه " ∴ من لؤلؤ لاينام عن طلبه

يخرجن من فيه للندى كما ∴ يخرج ضوء السراج من لهبه

هو محبة يأتيها البعداء والقرباء . فلان قطع في طلب العلم مراحل وأنضى الرواحل ، وأحرز الحظ الوافر،له لسان سؤول وقلب عقول أكب على العلوم يريد حياضها ويرود رياضها ولا تخلل اجتهاده خلل ولا ملل .(٢)

---

(١) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، جـ٢ ، ط (بدون) ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١م) ، ص ٧٢ وما بعدها .

(٢) الراغب الأصفهاني ، مجمع البلاغة ص ١٤٦ .

جـ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء :

يضم هذا الكتاب مختارات من الأخبار الشائعة والأشعار الرائعة فانه ظرف مليء ظرفا ، ووعاء جدا وسخفا ، من شاء وجد فيه ناسكا يعظه ويبكيه ، ومن شاء صادف فيه ناسكا يضحكه ويلهيه.(١)

والراغب في المحاضرات يقترب من النديم* الذي يحاول أن يتحف السلطان أو من في منزلته بكل مسل وممتع من الأخبار ولو كان سخيفا.(٢)

يقول الراغب في مقدمة المحاضرات " وبعد فان سيدنا ... أحب أختار له .... فصولا في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، يجعله صقيل الفهم ومادة العلم....(٣) وأن الجزء الخاص والذي يتحدث فيه عن العلم والتعليم يلتقي الى حد كبير بما أورده " الماوردي " في كتابه "أدب الدنيا والدين " وربما كان السبب هو اعتماد كل منهما على الأساس الديني وعلى ماكان معروفا من الأشعار والأخبار المتداولة ومحاولة جمعها وتوصيلها الى القارئين ليسهل عليهم معرفتها وليتأدبوا بها ويسلكوا تبعا لمراميها ومدلولاتها .(٤)

ويلتقي كتاب " مجمع البلاغة " للراغب مع كتابه " محاضرات الأدباء"

---

(١) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، هذبه واختصره ابراهيم زيدان ، ص ٢ .

* هو الذي يرافقك ويشاربك ، وجمعه ندماء انظر لسان العرب "ندم"ج١٢ص٥٧٣

(٢) الراغب الأصفهاني ، مجمع البلاغة ، ص ٨ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ص ٢

(٤) حسان محمد حسان / ناديه جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية، ص ٢٣٢ .

ويتمثل الالتقاء بينهما في الأداء وفي الأسلوب وفي المادة العلمية كذلك. وليس هذا الالتقاء بدعا في مصنفات رجال التراث ، فبعض كتبهم ينفذ الى بعض في كثير من الأحيان (١) .

٥ - أصالة منهجه في دراسة الفلسفة :

ان المؤلف نفسه يوضح في كتابه الذريعة الى مكارم الشريعة مايقصده بمكارم الشريعة اذ يقول "ان المكارم المطلقة هي اسم لما يتحاشى أن يوصف الباري جل ثناؤه بها أو بأكثرها نحو الحكمة ، والجود ، والحلم ، والعلم ، والعفو ، و ان كان وصفه تعالى بذلك على حد أشرف مما يوصف به البشر ، وان الأحكام تتناول ذلك في العبادات وأنه باكتساب المكرمه يستحق الانسان أن يوصف بكونه خليفة الله تعالى المعنى بقوله عز وجل : ﴿ اني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (٢) وبقوله تعالى ﴿ ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ (٣) وبقوله تعالى ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ (٤) .

وأشار الى أن خلافة الله عز وجل لاتصح الا بطهارة النفس ، كما أن أشرف العبادات لاتصح الا بطهارة الجسم ، ثم بين كيف يصل الانسان الى منزلة

---

(١) الراغب الأصفهاني ، مجمع البلاغة ، تحقيق عمر عبد الرحمن الساريسي ص ٥ .
(٢) سورة البقرة ، آية (٣٠).
(٣) سورة الأعراف ، آية (١٢٩).
(٤) سورة الأنعام ، آية (١٦٩).

العبودية التي جعلها الله تعالى شرفا للأتقياء ،وكيف يترقى عنها اذا وصلها الى منزلة الخلافة التي جعلها الله تعالى شرفا للصديقين والشهداء فبالجمع بين أحكام الشريعة ومكارمه علما وابرازهما يكتسب العلا ويتمم التقى وتبلغ الى جنة المأوى .(١)

فالقصد اذا ليس مجرد المعرفة فقط بالطريق الموصل الى مرضاة الله ولكن أيضا لابد أن تنعكس المعرفة على عمل الانسان أو يكمل كل منهما الآخر ولايمكن فصل هذا عما ينبغي أن يتخذه الانسان من خلق واعتقاد وآراء،وبديهي أن اكتساب العلم والتحلي بالخلق والعمل بهما بما يوافق الشرع ويقرب الى الله ليس من الأمور السهلة بل انها في حاجة الى السعي والمجاهدة.

والمقصود هنا مجاهدة النفس في اتباع مغريات الحياة الدنيا،وبالتالي يكون التطلع الى مرضاة الله هو الهدف وراء كل اعتقاد وعلم وعمل . فيمكن للانسان بهذا أن يصل الى ما يهدف اليه من نعيم علوي(٢) وكتاب " الذريعة" أقرب أن يصنف ككتاب يدعو الى الزهد أو التصوف ومن ثم فمع أن الآيات القرآنية تشيع فيه ، وكذلك الأحاديث النبوية الا أن الراغب الأصفهاني قد تأثر أيضا وكما يعكس محتوى الكتاب بالسابقين عليه أو المعاصرين له ممن تأثروا أصلا بالثقافة الوافدة ، وخاصة اليوناني منها ، بصورتها المعروفة

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٥ — ٦ .

(٢) احسان محمد حسان ، نادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية ، ص ٢٣١ .

في العالم الاسلامي ـ فمن المقدمة يكاد القاريء أنه يقرأ لاخوان الصفا ليس فقط من ناحية الأفكار ولكن أيضا من ناحية التعبير واستخدام بعض الأساليب المميزة لاخوان الصفا ، ومنها توجيه الخطاب الى الأخ المنظم الى جماعتهم فحين يشرح في مقدمة كتابه لماذا ألفه تجده يقول " ورغبتي أيها الأخ الفاضل وفقك الله وأرشدك وأعاذك من شر نفسك في تصنيفه ما رأيت من تشوفك بأن تزين ما ولاه الله من حسن خلقك وخلقك مما يتولاه من تحسين أدبك واكمال مروءتك "(١).

ويلح على فكره ألح عليها اخوان الصفا الا وهي الجمع بين العلم والدين فيقول " وكن أيها الأخ عالما بعلمك عاملا تكن من أولياء الله الذين ﴿ لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾(٢) واحذر الشيطان أن يسبيك ويغويك بأغراض الدنيا وزخارفها فيجعلك من أوليائه ويخوفك بوساوسه(٣) على أن الأصفهاني لم يقتصر على الافادة من رسائل اخوان الصفا وحدها بل يمكن ملاحظة أو افتراض تأثره أيضا في كتابه "الذريعة الى مكارم الشريعة " فيما يتعلق بالعوامل التي تؤثر في الأخلاق والنظرة الأخلاقية للمجتمع ، بمسكويه خاصة في كتابه " تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق " هذا وأن كان مسكويه أكثر وضوحا في ارجاع ما يذكره من آراء حكماء اليونان من الأصفهاني واذا كان الأصفهاني قد اطلع على الكتابات التي ظهرت في

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص٦ .
(٢) سورة الأنعام ، ص ٦٥ .
(٣) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ٧ ./ اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا ، ج٢ ، ط (بدون) (القاهرة : مطبعة الآداب١٣٠٦هـ)ص٢٣٤.

زمانه وقبل زمانه واستفاد منها ونقل عنها فانه لم يتوقف عند حد النقل أو الاقتباس بل عمد الى مزج ما نقله بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية مما يوضح عمق ايمانه بالشريعة الاسلامية ، وقوة اعجابه بما ترجم ووصل الى يديه من الفلسفة اليونانية المشروحة على أيدي من سبقوه مثل الكندي ، والفارابي ، ومسكويه وغيرهم . ومع فهمه للتراث السابق وتأثره به الا أن الاستدلال والتوضيح لما يقول يأتي عادة من كتاب الله ، وان كنا هنا لانستطيع القول بأنه يقدم مذهبا مستقلا بقدر ما يقدم نموذجا للعقل الاسلامي المؤمن بالأصيل والمعجب بالوافد ، فقام بالمزج بينهما في محاولة للتوفيق بينهما لتحقيق الافادة والفائدة منهما كما يراها[1] .

وهذا كله لايبعد الأصفهاني ودائرة أهل السنة ، لأنه ما لجأ الى هذا الا ليرسم الطريق الى مكارم الشريعة ويحدد معالمه . ومكارم الشريعة لاتصلح الا بالجمع بين العلم والعمل وهذا ما يؤكده بقوله ألا ترى انه ما خلى ذكر الايمان في عامة القرآن من ذكر العمل الصالح كقوله ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[2] والى ذلك أشار بقوله تعالى ﴿اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[3] . وقيل كثرت العلم من غير العمل مادة للذنوب)[4]

---

(١) حسان محمد حسان ، نادية جمال الدين ، مدارس التربية في الحضارة الاسلامية ، ص ٢٣٤ .

(٢) سورة الكهف ، آية (١٠٧).

(٣) سورة فاطر ، آية (١٠).

(٤) الراغب الأصفهاني ، الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١٤٧ .

* الخاتمة *

عاش الراغب الأصفهاني خلال القرن الخامس الهجري وقد مني بتجاهل منذ عصره ولم يصلنا مايدل على ولادته ونشأته وأخباره كما أنه قد وجد اضطراب كبير في تاريخ وفاته ولكنه في الوقت نفسه اتضح في غزارة آثاره التي امتازت بتنوع المواد التي أسهم فيها .

وقد امتاز الراغب الأصفهاني بين مفكري عصره بما يأتي :

١ - الجمع بين النقل والعقل عن دقة فهم واحاطة فقد تأثر الأصفهاني بأبرز ملامح ثقافة عصره السائدة التي حاولت الجمع بين المعرفة بشقيها أي الشريعة التي تدرك عن طريق النصوص الدينية ، من قرآن وسنة ، والحكمة التي تدرك بالعقل وقد كان الفصل بين الشريعة والحكمة من الأمور التي يدور البحث فيها في حلقات العلم في تلك الآونة ،بسبب التقليد وركود الفكر واختلاف المذاهب الا أن الراغب الأصفهاني قد أسهم بمؤلفاته في صياغة العلوم التي اكتسيها طيقا للمبادئ الاسلامية ولم يتوقف عند حد النقل والاقتباس بل عمد الى مزج مانقله بالثقافه الاسلامية .

٢ - كشف الراغب الأصفهاني في مؤلفاته عن جانب من البيئة التي عاش فيها . تلك البيئة التي امتازت بالضعف والتفكك السياسي والاضطرابات الاقتصادية فوقف موقف المربي والمصلح الاجتماعي .

---

٣ - جعل الأصفهاني مقياس التربية السليمة هو قيامها على أصول مستمدة من القرآن والسنة فنجد أنه في كل مسألة يعالجها في كتاباته التربوية يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وقد وضع تصورا لمفهوم التربية الاسلامية يعطي معنى النمو نحو الأكمل والأفضل ويشمل معنى التطور وهو مبدأ مستمد من طبيعة الاسلام ، ذلك أن تعاليم الاسلام عامة صالحة لكل زمان ومكان.

والأصفهاني بهذا المعنى يجعل التربية عملية مقصودة تهدف الى تربية الانسان بتنمية طاقاته الجسمية والعقلية والروحية وتتجه به نحو الأفضل ، والأكمل ، كما تهدف كذلك الى تنمية المجتمع والنهوض به بتلبية حاجاته المختلفة.

ولم يجعل التربية مقتصرة على التعليم الرسمي الذي يقدم للناشئة في المدارس ولكن الفكر التربوي للراغب الأصفهاني لا يفصل التربية عن الثقافة والتوجيه العام وهذا ما يسميه علماء الأثروبولوجيا (علم الانسان) اليوم " التثقيف العام " أي العملية التي يتم من خلالها تقبل المجتمع والأفراد للعقائد والقيم وطريقة الحياة التي يراد اشاعتها في القول والعمل وفي التعليم والتدريب وفي العادات والأعياد والاحتفالات والمهن والفنون وفي العبادات والنشاطات الاجتماعية.

والتربية عند الأصفهاني هي العمل على رعاية الناشئين والكبار في المجتمع وتنمية مواهبهم واستعداداتهم نحو الأفضل والأكمل من خلال مؤسسات المجتمع المختلفة كالأسرة والمدرسة والمجتمع .

٤ - تناول الراغب الأصفهاني في معالجته التربوية كل من الفرد والمجتمع بنظرة أخلاقية اسلامية ولم يقتصر في فكره الاسلامي على ما استفاده من ثقافات وفلسفات الأمم القديمة بل وضع معيار للقبول والرفض ينبع من ايمانه بالشريعة الاسلامية والتزامه بها فلا يرغم العقل فيما رفضه الشرع ، فالعقل هو ملكة التفكير وقد كرم الله الانسان بأن وهبه هذه النعمة دون غيره من المخلوقات لتساعد الانسان على التمييز بين الأشياء وادراك خصائصها واستنباط فوائدها والهدف من التربية العقلية هو مساعدة الفرد واعداده للتفكير السليم والقدرة على النظروالتأمل حتى يستطيع أن يحكم على الأشياء حكما قوامه الصدق والعدل ويمكنه أن يفهم البيئة التي تحيط به كما يمكنه أن يفيد من تجاربه وتجارب الآخرين ، وهذه نقطة هامة تستشعر المسلم وتحثه على الانفتاح على غيره . والعقيدة الاسلامية لا تتنافى مع العقل والقرآن الكريم يشيع الطاقة العقلية في الانسان ويدفعها للبحث والتفكير والتنقيب . فالعقل كالأس والشرع كالبناء ولن يغني أس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء مالم يكن أس . وتتطلب التربية الاسلامية من العقل التأمل في حكمة الله وتدبيره تأملا غايته اصلاح القلب البشري، واقامة الحياة في

الأرض على أسس من الحق و العدل الكامنين في بنية الكون وبنية الحياة وتتطلب من العقل كذلك النظر في حكمة التشريع فالعقل لوحده قليل الفائدة لايكاد يتوصل الا الى معرفة كليات الأشياء دون جزئياتها أما الشرع فيعرف كليات الأشياء والاسلام يتطلب من العقل البشري استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الانسان وقد هضم المسلمون بفضل الاسلام علوم من سبقهم من الشعوب والحضارة فبرعوا في الطب والفلك والطبيعة والكيمياء والرياضيات ، وأضافوا في كل فرع اضافات حية أصيلة تقدمت بالمعرفة الانسانية أشواطا هائلة سجلها التاريخ وسجلتها أوروبا بصفة خاصة ، اذ قامت كل نهضتها الحديثة عليها ، وقد اعترف الأوربيون بأن المذهب التجريبي الحديث الذي قام عليه كل العلم الأوربي تراث اسلامي أصيل . يقول جوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب نقلا عن أحد فلاسفة أوربا - ان القاعدة عند العرب كانت ،جرب وشاهد ولاحظ تكن عالما " وهذا هو عين الأسلوب العلمي الحديث،وبالمقارنة نجد أن القاعدة عند الأوربي الى ما بعد القرن العاشر المسيحي " أقرأ في الكتب وكرر ما يقول الأساتذة تكن عالما " فالفرق شاسع بين ما توصل اليه المفكرون المسلمون من اعتمادهم على التفكير واتباع الأسلوب العلمي الحديث وبين غيرهم ممن كانوا يركزون على الذاكرة في الحفظ والاستظهار.

ولأن الانسان تميز عن غيره بالعقل ومن أجله فضله الله سبحانه عن كل خلقه فان العقل غداؤه العلم والمعرفة . ومن ثم كان الانسان الفاضل في الاسلام هو الانسان العالم وهذا الانسان الفاضل يزداد فضلا بقدر ما يزداد علما قال تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (١) .

وقد تعرض الأصفهاني لصلة العلم بالدين فيرى أن العلوم لاتتساوى فثمرة علوم الدين الوصول الى الحياة الأبدية أما ثمرة العلوم الدنيوية الأخرى الوصول الى الحياة الدنيوية وأنه يبنغي ألا نترك شيئا من العلوم أمكننا النظر فيه واتسع العمر له الا وتسعى لطلبه .... والا عاديناه بسبب جهلنا به وهذه الصلة التي ذكرها الأصفهاني هي ما دعى اليها كثير من المربين في العصر الحديث ومن عبر عن هذه الحاجة مادوكسي فورد مادوكس ، حيث قال " لن تصان حضارتنا المعاصرة من الدمار الذي يهددها الا اذا تطورت قلوب الناس الذين يعيشون على الأرض . فالقلوب المتحضرة هي التي تبقى هذه الحضارة حية مستمرة لاتطوير الآلات ولا ثرثرة الاقتصاديين .

ولقد كتب وآبراهام أحد مفكري الغرب في العصر الحديث ماسلو بحوثا غير قليلة حول ضرورة تكامل الدين والعلم واشترط صفات للدين المنشود لاتنطبق الا على الاسلام

---

(١) سورة المجادلة ، آية (١١).

من ذلك بحثه الذي تمت ترجمته بعنواه " خطر الانشقاق بين الدين والعلم " ومما جاء فيه " لقد درجت النظرة على اعتبار كل من الدين والعلم عالمين منفصلين عن بعضهما البعض ، وذلك بسبب الفهم الضيق لكل من العلم والدين . لقد خنق هذا الفصام مفهوم العلم في القرن التاسع عشر في دائرة ضيقه هبطت بالعلم وحصرته في ميدان الميكانيكا والفلسفة الوضعية ، وجردته من القيم الانسانية ومن هنا ألصق العلم بنفسه الخطأ المشين الذي زعم أن ليس للعلم مايقوله في قضايا النشأة الانسانية والمصير والتطلعات العليا والقيم الروحية .

واذا كان الراغب الأصفهاني قد طوع ثقافة عصرة للقيم الاسلامية فعلينا بعد أن رفعنا شعار دولة العلم والايمان أن نمزج بين العلم والدين وكل منهما يغذي الآخر فالاسلام كدين لايتعارض مع العلم وأن فكرة العلمانية التي ظهرت في العصر الحديث في الغرب فكرة هدامة تعبر عن واقع تاريخي ومرحلة مرت بها الحالات الدينية والثقافية والأوربية على أثر الأزمات التي أحدثها رجال الكنيسة في وجه النظريات العلمية المنبثقة من الملاحظة والتجربة والتي كانت مخالفة لتفسيرات الكتاب المقدس يصف لنا " توينبي " ذلك بالتفصيل فيقول " فما برح العلم خلال مائتي عام ينتزع من الكنيسة مجالاتها ، مجالا

بعد آخر . من ذلك أن العلم قد قيض على ناصية علوم الفلك ، أصل الكون ، التاريخ الأحياء ، الطبيعة النفس ..... وأعاد العلم صياغتها على قواعد لاتتمشى مع التعاليم الدينية المقررة.

ولم تظهر قط مثل هذه الأزمة في تاريخ الاسلام الحضاري حيث استوعب الاسلام النظريات العلمية التي اكتشفها العلماء من واقع الملاحظات والتجارب الى جانب الالتزام بالعقيدة الاسلامية ولكن لما انتقلت عدوى التفرقة بين الدين والعلم الى العالم الاسلامي كأحد نتائج الغزو الثقافي ، وحاولت ابعاد العقيدة الدينية والتخلي عنها بحجة احلال العلم وحده بديلا لها ، اضطر علماء الاسلام للتصدي لهذه الدعوى فأثبتوا أن العلم في محيط الحقل التجريبي لايغني عن العقيدة الدينية شيئا ، اذ نجح العلم الحديث حقا في الابانة عن كثير من الأشياء التي لم تكن على معرفة بها ، ولكن الدين جواب لأسئلة أخرى ، فمهما حقق لنا العلم من وسائل الراحة ، وقدم لنا من مخترعات تيسر سبيل الحياة وتذلل العقبات أمام الجهد الانساني، فلايمكن اهمال الأسئلة الدائرة بخلدنا مثل من أين ؟ ولم ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ أو مشاكل الحياة والموت والخير والشر الى غير ذلك مما تشكل استفسارات عجز العلم - وسيظل - عاجزا عن تقديم الاجابة عنها طوعية

لأنها خارجة عن نطاق بحثه .

٥ - استمد الراغب الأصفهاني منهج المعرفة من القرآن الكريم ويقوم هذا المنهج على ثلاثة طرف هي الشرع - والحس - والعقل وان المعرفة عن طريق الحواس الخمس ظنية والمعرفة الشرعية العقلية يقينه وان طريق معرفة الأنبياء كطريق معرفة نوع من الآدميين خصهم الله بخصائص يعرف ذلك من أخبارهم واستقراء أحوالهم ان النبوة عند المسلمين كما يقرره الأصفهاني سفاره بين الله وبين ذوي العقول من عباده لازاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم وان الغيب عنده مالايقع تحت الحواس ولاتقتضيه بداية العقول وانما يعلم بخير الأنبياء عليهم السلام وبدفعه يقع على الانسان اسم الالحاد . اذ آن مما اتفق عليه علماء المسلمون أنه يلزم الايمان بجميع ماأخبر به الرسل من الملائكة والأنبياء والكتب والبعث والقدر وغير ذلك من صفات الله وصفات اليوم الآخر كالصراط والميزان والجنة والنار ونحو ذلك.

والايمان بالغيب والتسليم بحدود الله هو الأساس الأول للدين لأن الدين انما يوحد الجماعات عن طريق هذه المسلمات التي يتفقون عليها لامحاله ، رغم اختلافهم في الأذواق وتفاوتهم في الملكات ، وفي أنماط

الفكر ومناهجه ، ونزعات النفوس وأهدافها ، ولأن معرفة الانسان محدودة بحدود كثيرة • هي محدودة بحكم طاقة الحواس التي يستمدمنها المعرفة وهي محدودة بحكم الحيز الزماني الضئيل الذي يعيش فيه ويدركه ، لايعرف ماقبله وما بعده ، وهي محدوده بحكم الحيز المكاني الذي يحيط به والذي لايعرف ماوراءه في آفاق الفضاء ، بل في أعماق الأرض والبحار الا حدسا ورجما بالغيب •

٦ – يؤمن الراغب الأصفهاني بقبول نفس الانسان وأخلاقه للتبديل والتغيير وهو بذلك ينتقد من يزعم أن الأخلاق لاتتغير اعتمادا على أن الأخلاق مقتضى المزاج والطبع ، وان الخلق صورة الباطن كما أن الخلق صورة الظاهر • ويدعم الأصفهاني رأيه باشارته الى أن كل كائن حي يمكن أن يتغير خلقه حتى أن البهائم يمكن تبديل خلقها من الاستيحاش الى الاستئناس • والى أنه لو كانت الأخلاق لاتتغير لبطلت المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والتأديبات ويوضح الأصفهاني الى أنه ليس المقصود من تغيير الخلق استئصال الأخلاق المذمومة من النفس بالكلية كما ظن البعض بل سلاستها وتأديبها ثم يشرح ذلك بقوله " والشهوة انما تكون مذمومة اذا كانت مفرطة وأهملها صاحبها حتى ملكت القوى ، فأما اذا أدبت فهي المبلغه الى السعادة وجوار رب العزة ، حتى لو تصورت مرتفعة

لما أمكن الوصول الى الآخرة بالعبادة . ولاسبيل الى العبادة الا بالحياة الدنيوية ، ولاسبيل الى الحياة الدنيوية الا يحفظ البدن ولا سبيل الى حفظ البدن الا باعادة مايتخلل منه ، ولاسبيل الى اعادة ماتخلل منه الا بتناول الأغذية ، ولايمكن تناول الأغذية الا بالشهوة .

ثم قسم الأصفهاني أنواع اللذات الى عشرة أقسام لذة المأكل، ولذة المشرب ، ولذة المنكح ، ولذة الملبس ، ولذة المشم ، ولذة المسمع ، ولذة المبصر ، ولذة المركب ، ومرفق من الآلات ثم أن اللذات الضرورية للانسان المأكل والمشرب والمنكح فبالغذاء بقاء الأشباح ، وبالنكاح بقاء الأنواع والحاجة ضرورية للغذاء والنكاح ومتى كان هناك نهم للطعام وشبق للنكاح وشره فيها أصبحت تلك الشهوة مذمومه .

٧ - ان القاريء للأبواب المتعلقة بالعلم والعقل والمعرفة والجهل وغيرها عند الراغب الأصفهاني يستطيع أن يلمح أثر اللغة أو الثقافة اللغوية قد ظهرت في تحليلاته حول هذه النقطة على الخصوص فتتبع ألفاظ اللغة العربية الدالة على العلم وكيفية انصرافها الى المعاني المختلفة سواء من قبيل الحقيقة أم من قبيل المجاز ، وكان القرآن الكريم

واستخداماته هو الركيزة الأساسية في كل هذا ، حيث عمد الى تفسير الدلالة اللغوية على أساسه ومتخذا من آياته دليلا لما يقول ، وعلى هذا جاءت مناقشاته أقرب الى مباحث اللغة منها الى الفلسفة كما جعل العقل سواء كان غريزي أو مستفاد هو القوه المتهيئة لقبول العلم .

حيث أن الانسان يتميز عن غيره من المخلوقات بالعقل ، ومن أجله فضله الله سبحانه على كل خلقه فان العقل غذاؤه العلم والمعرفة . ومن ثم كان الانسان الفاضل في الاسلام هو الانسان العالم .

فالاسلام مجد العلم ورفع مكانته . وقضى على القطيعة التي كانت واقعة بين العلم والدين ويرى الأصفهاني أن الوسيلة التي يطلب بها العلم تنقسم الى قسمين :

- القسم الأول :

الوحي كتابا وسنة ، عقيدة وشريعة ، وكل عبادة لاتبنى على علم ومعرفة فهي عبادة باطلة ، لاتقبل بحال أبدا .

- القسم الثاني :

هو ماوراء ذلك من علوم الكون - مما يستفاد من بديهية العقل ومصادفة الحس وذلك يدعو اليه الاسلام ويحث عليه لتعرف سنن الله في الكون وأسراره في الخلق ، وحكمته في الوجود . كما يحثنا الأصفهاني على تعلم الفنون والعلوم التي يستفيدها الانسان من تجاربه وعن طريق الاطلاع أو سماع الأخبار عن الغير ويجعل العقل كالدواء والوحي كالغذاء ولاغناء لأحدهما عن الآخر كما أن العقل لوحده قليل الفائدة لايتوصل الا الى كليات الأشياء دون جزئياتها أما عن طريق الوحي فنعرف كليات الأشياء والاعتقاد الصحيح .

* المصادر والمراجع *

—×—×—

مصادر البحث :

أولا - مؤلفات الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل :

١ - الذريعة الى مكارم الشريعة ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠هـ).

٢ - الذريعة الى مكارم الشريعة ، مراجعة وتقديم عبد الرؤوف سعد ، ط ١ (القاهره : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).

٣ - تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ط (بدون) (حلب : المطبعة العربية ، بلا تاريخ).

٤ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء اختصار وتهذيب ابراهيم زيدان ، ط ٢ (بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م).

٥ - المفردات فى غريب القرآن ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى ، ط (بدون) (بيروت : دار المعرفة، بلا تاريخ).

٦ - مجمع البلاغة ، تحقيق عمر عبد الرحمن الساريسي ، ط ١ ، (عمان : مكتبة الأقصى ، ١٩٨٦م).

ثانيا : المصادر الأخرى :

٧ – القرآن الكريم .

٨ – ابن الأثير ، الحسن على بن أبى الكرم ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ط (بدون) ، (بيروت: دار الفكر١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م)

٩ – ابن الجوزى المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم (مطبعة دار المعارف العثمانيه الدكن ١٣٥٩هـ – ١٩٤٠م)

١٠– ابن النديم : محمد بن اسحاق : الفهرست ، (بيروت : مكتبة خياط، بلا تاريخ) .

١١– ابن حبان ، محمد البستى : صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وحسين أسد ، ط ١ ، (بيروت:مؤسسة الرسالة ،١٤٠٤هـ)

١٢– ابن حنبل ، أحمد : المسند ، (بيروت : المكتب الاسلامى ، بلا تاريخ) .

١٣– ابن كثير ، اسماعيل عمر: البداية والنهاية ، جـ ٢ ، ط (بدون)،(القاهره – دار الفكر العربى ، بلا تاريخ) .

١٤– ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزوينى ، سنن ابن ماجه ، (القاهره : مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٧١هـ).

١٥– ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٦

١٦– أبو حيان التوحيدي : الاقناع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، جـ ٣ ، (مكتبة دار الحياه، بلا تاريخ).

١٦– أبو داود ، سليمان الأزدى: سنن أبي داود ، (القاهره : مطبعة عيسى الباب الحلبي ، ١٣٧١هـ) .

١٧– أخوان الصفا : رسائل أخوان الصفا ، جـ ٢ (ط بدون)، القاهره: مطبعة الأداب ، ١٣٠٦هـ) .

١٨- البخاري، محمد اسماعيل ، صحيح البخاري ، (تركيا : استانبول ، المكتبة الاسلامية ، بلا تاريخ) .

١٩- البنداري، الفتح بن علي محمد: تاريخ دولة آل سلجوق ، ط ٢ ،(بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٣٨م) .

٢٠- البيهقي ظهر الدين : تاريخ حكماء الاسلام ، ط١ ، (دمشق : مطبعة المفيد الجديدة ، ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م) .

٢١- الترمذي : سنن الترمذي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، ط ٢ ، (بيروت ، دار الفكر ، بلا تاريخ) .

٢٢- الحموي ، ياقوت : معجم البلدان (بيروت : توزيع دار المناهل ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥م) .

٢٣- الخوانساري ، محمد باقر الموسوي: روضات الجنان ، ج ٣ ط (بدون) (دار المعارف ، بلا تاريخ) .

٢٤- الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن : الأمثال، ط ١، (بيروت:دار الفكر) .

٢٥ - الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، ج ٢ ، ط (بدون) ، القاهره مطبعة كوستافوماسي وشركاه ، ١٩٥٤م) .

٢٦- الزرنوجي ، برهان الاسلام : تعليم المتعلم طريق التعلم ، تحقيق مروان قباني ، ط ١ ، (بيروت: المكتب الاسلامي ، ١٩٨١م) .

٢٧- السبكي ، عبد الوهاب : طبقات الشافعية الكبرى ، ط ٢ ، (مصر : المطبعة الحسينية المصرية ، بلا تاريخ) .

٢٨- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاه، ج ٢ ، ط ١ ، (مطبعة عيسى البنا وشركاه ، بلا تاريخ) .

٢٩- الطبراني ، المعجم الأوسط ، تحقيق محمد الطحان ، ط ١ (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٩٨٥م) .

٣٠- العسقلاني ، أحمد على بن حجر ، فتح البارى فى شرح صحيح البخاري : (بيروت : دار المعرفة ، بلا تاريخ) .

٣١- الغزالى ، أبو حامد : احياء علوم الدين ، (بيروت : دار القلم، بلا تاريخ) .

٣٢- القالي ، أبو علي : الأمالي ، ط (بدون) ، (مصر : المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق) .

٣٣- القرطبي ، أبو عبد الله محمد الانصاري ، تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٦ ، ط (بدون) ،(بيروت: دار الكتب ، ١٩٣٨م) .

٣٤- الماوردي ، على بن محمد : أدب الدنيا والدين ، (القاهره : المطبعة الأميرية ، ١٩٢٥م).

٣٥- النووي، يحيي بن شرف الدين ، رياض الصالحين ، تحقيق محمد الألباني ط ١ ، (بيروت : المكتب الاسلامي، ١٩٧٩م) .
صحيح مسلم ، ج ٦ ، ٢٧ ، (بيروت ، دار الفكر ، بلا تاريخ) .

٣٦- باشا : أحمد تيمور : فهرس الخزانة التيمورية ، ج ٣ ، ط (بدون) (القاهره : دار الكتب المصرية، ١٩٤٨م).

٣٧- حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ١ ، ط ١ ، (بيروت : مكتبة المثنى، بلا تاريخ).

٣٨- زاده ، طاش كبري : مفتاح السعادة ، ج ١ ، ط ١ (حيدر آباد الدكن الهند ، دار المعارف النظامية ، بلا تاريخ) .

٣٩- مسكويه ، أحمد : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، (القاهره ، ١٣٢٦هـ).

٤٠- مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج، صحيح مسلم ، تحقيق محمد عبد الباقي ، ط ١ ، (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ) .

قائمة المراجـــــع :

ثالثـــا : الدراسات الحديثة :

٤١- أحمد أميـــــــــن : ضحـى الاسلام ، ج ٢ ، ط (بدون) ، (القاهـره : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١هـ) .

الأخـــلاق ، ط (بدون) ، (بيروت : دار الكتاب العربـــي ، ١٩٦٩م) .

٤٢- أحمد فؤاد الأهوانـــي : التربية فى الاسلام ، ط (بدون) ، (القاهـره : دار المعارف ، بلا تاريخ) .

٤٣- أحمد محمد جمـــال : نحو تربية اسلامية ، ط ٢ ، (جده :تهامه) .

٤٤- أسـماء فهمـــي : مبادئ التربية الاسلامية ، (القاهـــره : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بلا تاريخ) .

٤٥- أنور الجنـــدي : التربية وبناء الأجيال فى ضوء الاســلام ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتاب اللبنانـــي ، ١٩٧٥م) .

٤٦- أمين صالح كشـمري : عثمان أحمد عبد الوهاب (العلوم الطبيعيـة فى ضوء المنهج الاسلامى ، بحث مقدم لـــدورة الخبراء التربويين المنعقدة فى مكـــة ١٤٠٠هـ) ص ٢ .

٤٧- بشـير حاج التـوم : ماهى فلسفة التربية ، ط ١ ، (مكة المكرمـة : مكتبة الوطن ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٢م) .

٤٨- حسان محمد حسان ، ونادية جمال الدين : مدارس التربية فى الحضارة الاسلامية ، ط ١ ، (القاهره : دار الفكر العربى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

٤٩- حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ج ٤ ، ط ١ ، (القاهره : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م).

٥٠- حسن ابراهيم عبد العال : فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعه ، ط (بدون) ، (مكتبة التراث العربى لدول الخليج ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

٥١- حسين عثمان : منهج البحث التاريخى ، ط (بدون) ، (القاهره : دار المعارف ، ١٩٧٠م) .

٥٢- زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي ، ط (بدون) ، (القاهره : الشعب ، بلا تاريخ) .

٥٣- حسين عبد الله بانبيله : ابن خلدون وتراثه التربوي ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

٥٤- سعد عبد الله بن جندول : أصول التربية الاسلامية ، ط ١ ، (الرياض : دار العلوم ، ١٤٠١هـ - ٨١+١م).

٥٥- سيد أحمد عثمان : التعليم عند برهان الاسلام الزرنوجي ، ط (بدون) (القاهره : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) .

٥٦ – سيد سابق / والأستاذ محمد عثمان على عدلان ، (التربية العقلية فى الاسلام ، بحث مقدم لندوة الخبراء التربويين المنعقد فى مكة المكرمة بين ١١ – ١٦ / ٦ / ١٤١٠هـ ٠

٥٧ – سيد قطب : فى ظلال القرآن ، جـ ٥ ، ط ١ (القاهره : دار الشروق ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) ٠

٥٨ – عبد الرحمن صالح عبد الله : بن الجوزي وتربية العقل ، ط ١ (مكة : شركة مكة للطباعة والنشر ، ١٩٨٦م)٠

٥٩ – عبد الرحمن النحلاوي : أصول التربية الاسلامية وأساليبها ، ط ١ (دمشق: دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م)٠

٦٠ – عبد الفتاح فؤاد : فى الأصول الفلسفية عند مفكري الاسلام ، ط ١ الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٨٣م)٠

٦١ – عبد الكريم العثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين ، ط٣، (القاهره : مكتبة وهبه ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م)٠

٦٢ – عبد الله علوان : تربية الأولاد فى الاسلام ، (دار السلام ، بلا تاريخ)٠

٦٣ – عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية فى القرون الوسطى ، (القاهره : مكتبة وهبه ، ١٩٦٤م) ٠

٦٤ – عرفات عبد العزيز سليمان: المعلم والتربية ، ط ٢ ، (القاهره : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٢م) ٠
نظم التعليم فى العالم الاسلامى ، ط (بدون) (القاهره :مكتبة الأنجلو المصرية،١٤٠٣هـ –١٩٨٣م)٠

٦٥ - عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ، ط (بدون) (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٢م)٠

٦٦- على خليل أبو العينين : فلسفة التربية الاسلامية فى القرآن الكريم، ط ١ ، (بيروت : دار الفكر العربي ، ١٩٨٠م)٠

٦٧ - ماجد عرسان الكيلاني : تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية ، ط ٢ ، (المدينة المنورة : دار التراث ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٣م)٠

فلسفة التربية الاسلامية ، ط١ (بيروت : دار البشائر الاسلامية،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)٠

الفكر التربوي عند ابن تيميه ، ط ٢ ، (المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)٠

٦٨ - محمد أمين المصري : لمحات فى وسائل التربية الاسلامية ، ط ٤ ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)٠

٦٩ - محمد حسين : اتجاهات هدامة فى الفكر العربى المعاصر ، ط (بدون) (بيروت : دار الارشاد ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م)٠

٧٠ - محمد سعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٦م)٠

٧١ - محمد عطيه الأبراشي : التربية الاسلامية وفلاسفتها ، ط ٣ (مصر : مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)٠

٧٢ ـ محمــــــد قاســــــم : في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاســـلام، ط ٣ ، (القاهره، مكتبة الآنجلو المصرية، بـــلا تاريـــخ) ٠

٧٣ ـ محمد قطـــــــــب : الانسان بين المادية والاسلام ،ط٧، (القاهره : دار الشروق ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) ٠
منهج التربية الاسلامية ، ج ٢ ،ط ٧(القاهره : ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)٠

٧٤ ـ محمد متولي الشـــعراوي : التربية الاسلامية ، ط (بدون) (القاهـــره: مكتبة التراث الاسلامي ، بلا تاريخ)٠

٧٥ ـ مريزن سعيد العسيري : الحياه العلمية في العراق في العصر السلجوقـــي (مكة المكرمة ، مطبعة الطالب الجامعي ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)٠

٧٦ ـ مصطفـــــى حلمـــــى : الاسلام والمذاهب الفلسفية ، ط ١ ، (الاسكندرية دار الدعوة ، ١٩٨٥م)٠

٧٧ ـ مقداد يالجـــــــــن : التربية الأخلاقية في الاسلام ، (القاهـــره: مكتبة الخانجي ، ١٩٧٧م)٠
جوانب التربية الأساسية ، ج ١ ، ط ١،(لبنان : دار المريخ ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)٠

٧٨ ـ لطفى بركات أحمـــــد : في الفكر التربوي الاسلامي ، ط ١، (الريـــاض: دار المريخ ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) ٠

٧٩ ـ لطفى محمد فطيـــــــم : أبو العزايم عبد المنعم الجمال : نظريـــــات التعليم المعاصرة ، ط ١ (القاهره : مكتبـــــة النهضة المصرية ، ١٩٨٨م)٠

٨٠ – وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، القاهره ، المختار الاسلامى ، بلا تاريخ) .

رابعا : الرسائل الجامعية :

٨١ – حسين صالح حامد مؤمنه : الآراء التربوية لابن تيميه ،(رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الاسلامية،١٤٠٣هـ – ١٤٠٤هـ) .

٨٢ – عبد الرؤوف يوسف عبد القادر عبد الرحمن : أخلاق العالم والمتعلم عند أبى بكر الأجري ، (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الاسلامية والمقارنة ، الفصل الدراسي الثانى ، ١٤٠٨هـ) .

خامسا : الدوريات :

٨٣ – مجلة المجتمع العربى ، دمشق ، مطبعة الترقى ، العدد ٢٤ ، ربيع الأول ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م .